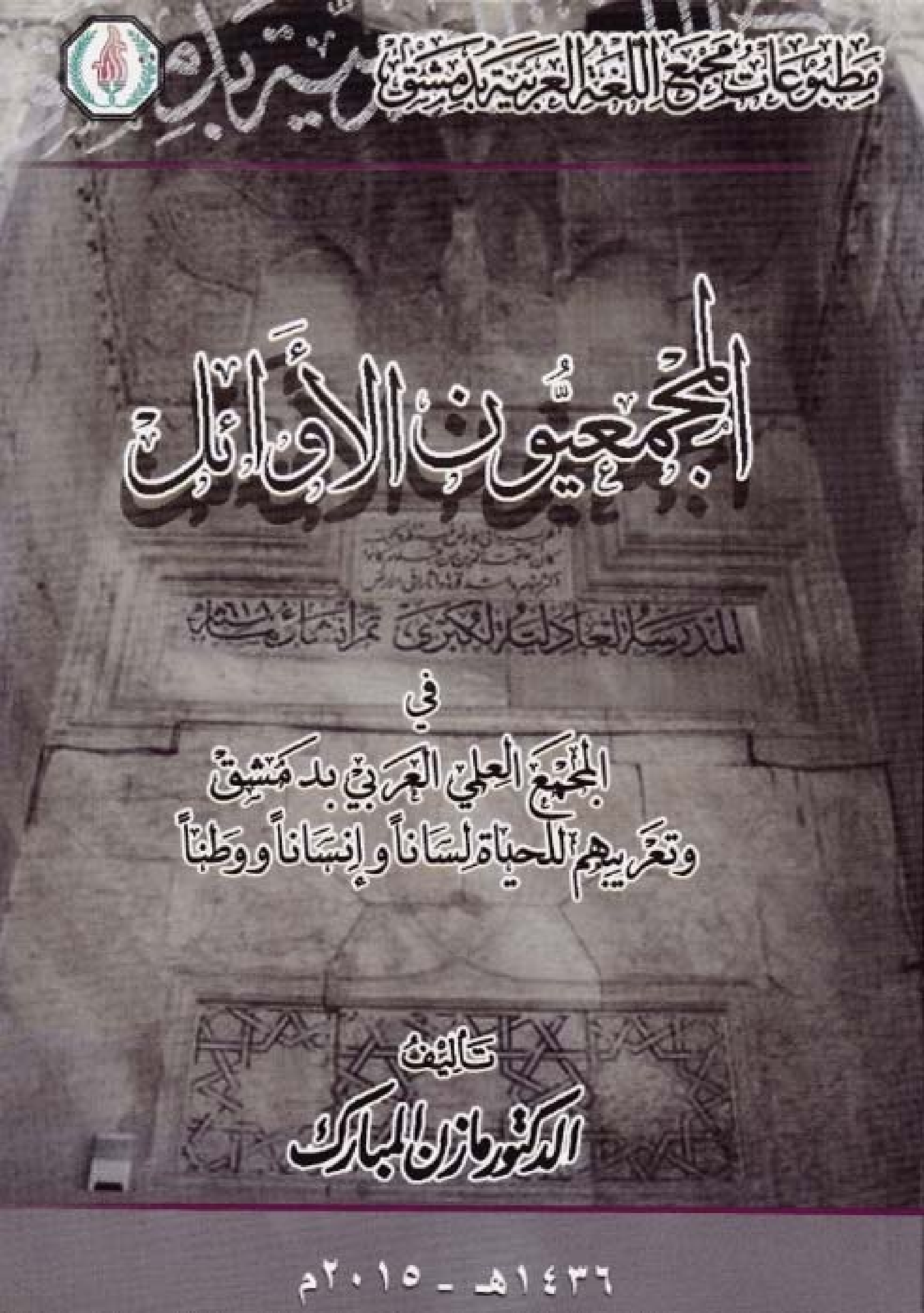

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

المجمعيون الأوائل

في

المجمع العلمي العربي بدمشق وتعريبهم للحياة لساناً وإنساناً ووطناً

تأليف

الدكتور مازن المبارك

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المجمعيّون الأوائل

في

المجمع العلميّ العربيّ بدمشق

المجمعيون الأوائل
في
المجمع العلمي العربي بدمشق

وتعريبهم للحياة، لسانًا وإنسانًا ووطنًا

تأليف

مـازن المبارك

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الرجالِ الَّذين آمنوا:

أنَّ كرامةَ الإنسانِ منْ كرامةِ أمَّتِه.

وأنَّ حريَّتَه في حُريّة وطنه.

وأن سِيادةَ الوطنِ ووَحدةَ الأُمّةِ في سِيادَةِ اللُّغةِ ووَحدتها.

مازن المبارك

مــدخــل

لقد انطلق المجمع العلمي العربي، أول مجمع يظهر في بلاد العرب، مدفوعًا بتوق الشعب العربي إلى استعادة وجوده في ثنايا لغة حملها أجداده شُعلةً أضاءت عالم الظلاميات الأوربية، لغة تم تهميشها في ظل حكم استمر أربعة قرون حتى لم تعُد سوى لغة التخاطب، بعاميّة تختلف بين مدينة وأخرى.

لقد بقيت اللغة الفصيحة في بلادنا حكرًا على فئة محددة ممن جعلوا الدراسات التراثية هدفًا لحياتهم، متسيّجين بالقرآن الكريم وعلومه للاحتفاظ بذاتية ثقافية عربية إسلامية، وكانوا ينظرون إلى ما أدخلته الحضارة الغربية في حياتهم وكأنها أعاجيب يصطنعها عالم آخر.

إن تأسيس مجمع علمي منطلقًا للنفوذ إلى العلوم المحدَثة كان يعني جهدًا مستمرًّا لإدخال تلك العلوم في اللغة، أي إيصالها إلى مفاهيم المجتمع ليَدخل أبناؤه إلى مسار يتيح لهم المشاركة في المجالات العلمية العالمية.

إنه انتقال نوعي من تأمل الذات من خلال كنوز تراثنا، إلى التجرّؤ على نديّة علمية تُكتسب عن طريق اللغة.

وكان على المجمع أن يضم بين ظهرانيه ألمع الرجال ثقافةً وأكثرهم حبًّا للعربية وإخلاصًا لها، فكان منهم علماء في الفقه، شعراء، وأطباء، زراعيون،

وأدباء يؤكدون أن الأدب هو «أن يكون للأديب من كل علم خبر»(١).

إنها كانت كوكبة من حَمَلَة شعلة النهضة التي انطلقت تباشيرها من مصر، بهمة حاكمها محمد علي الكبير، الذي بدأ إرسال البعثات إلى أوربا لاكتساب معرفة جذور الحداثة.

لذلك كان تأسيس المجمع العلمي العربي خطوة رصينة لإدخال بلادنا في المسار النهضوي الذي يقضي على ما في مجتمعاتنا من تخلف وتواكل وانكماش، وهو المسار الذي ينطلق من تعريبٍ يزيل عن العربي هجنة العجمة، ليدخله إلى مصاف القادرين على النهوض بإنسانية الإنسان، عن طريق فهمه للعالم الذي يعيش فيه.

ونحن اليوم إذ نُكْبر مجهوداتهم ونتمثل بإخلاصهم واندفاعهم، لا بد من القول بأن مجمعنا بالتعاون مع المجامع العربية الأخرى التي أنشئت بعد عام ١٩٣٣ قد نجح في جعل هوية بلادنا هوية عربية صادقة.

كما أن مجمعنا، في خدمته للغة العربية في مجالات الحداثة، قد أعطى صورة ناصعةً عمّا تفتخر به بلادنا بأن جعلت التدريس الجامعي في كل الفروع باللغة العربية.

إن ما قام به المؤسسون ومن تلاهم قد أحسن شرحَه الدكتور مازن المبارك، وهو الذي دخل المجمع صغيرًا مصاحبًا لأبيه العالم اللغوي الكبير الشيخ عبد القادر المبارك رحمه الله، أيام كان المجمع في المدرسة العادلية في باب البريد.

وإن هذا الكتاب يبرز الروحية العالية التي خيّمت على أعمال المجمعيين وما كانوا يمثلونه في مجتمعهم، تنويريين نهضويين يحملون رسالة استعادة ملَكَة الفصاحة التي بقيت حبيسة نصوص لا قارئ لها، وقد يكون أبرزها بل هو دانة عقدها النفيس تاريخ دمشق لابن عساكر، وقد نشر منه المجمع ستين مجلدة

(١) كما يقول ابن قتيبة.

حتى اليوم، تفوح منها رَوح تاريخنا.

إن رفع الضيم عن اللغة العربية ليس انتصارًا لذاتيتنا الثقافية فحسب، بل هو مسعى مسؤول لإعادة اللغة العربية إلى عالميتها المفقودة لغةً للفكر والعلم والحضارة.

الدكتور مروان المحاسني

❋ ❋ ❋

بين يدي الكتاب

الحمد لله حمدًا يُرضيه، ويُزلفنا إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

وبعد، فهذا الكتاب نَواته محاضرةٌ ألقيتها في ندوةٍ عقدها مجمع اللغة العربية بدمشق، بعنوان «أضواء مجمعيّة على مجالات الإصلاح»(١). وطلب مني الزملاء الكرام في المجمع أن أوسّعها وأزيد صفحاتها لتتّسع لِما اختصرتُه في حديثي، ولِما لم أقلْه واكتفَيت بالإشارة إليه لضيق الوقت، فكان هذا الكتاب استجابة لذلك الطلب، وتلبية لتلك الرغبة.

ولست أكتم أن رغبة الزملاء وجدت في نفسي مثلَها؛ فلقد كان الموضوع في حاجة إلى مزيد من البيان والتفصيل، فهو يتناول مجالات الإصلاح التي خاضها المجمعيّون الأوائل، لا مجالًا واحدًا منها، ويتحدَّث عن جهودهم جميعًا، وجهود مَن آزرهم من جامعيّين ومثقَّفين ووطنيّين، أضف إلى ذلك أن الإصلاح عند أولئك الرجال لم يكن فكرة تُقال، ولا مقالة تُكتب، بل كانت عملًا دائبًا، وسعيًا متواصلًا، وميدانًا رحبًا، يشمل كلَّ ما كان عصرهم في حاجة إليه، وما كان مستقبَل وطنهم يدعوهم إلى صنعه.

---

(١) عقدت الندوة في يومي ٢٢ و٢٣ صفر سنة ١٤٣٦ الموافق لـ ١٤ و١٥ كانون الأول سنة ٢٠١٤م.

إنه موضوع تاريخٍ يُؤرَّخ، وسجلُّ دولةٍ تُنشَأ، وحكايةُ شعبٍ يتحرّر، ومَسيرةُ مُجتمَعٍ ينهض، وحديثٌ عن رجالٍ لم يكن لجهودهم وإخلاصهم حدٌّ يقفون عنده. إنهم رجال كانت أعمالهم مرآة صادقة لضمائرهم ونِيّاتهم، وكانت أحوالهم أنطقَ عنهم من أقوالهم.

وزاد من رغبتي في توسعة الموضوع أمران: أما الأول، فلأني رأيت أنه كلما تحكّمت في الناس شهواتُهم – كما تحكّمت بنا اليوم–، وكلّما بهرتهم بهارج الدنيا ومفاتنها، وخطف بَريقُها أبصارَهم - كما تفعل بنا اليوم - وجب تذكيرهم برجال سلِمتْ نيّاتهم، وصدقتْ عزائمهم، وكانت حياتهم دعوةً أنكروا فيها ذواتهم، وضحَّوا بأعمارهم لتحيا لغتهم، وينهض مجتمعهم، ويتحرَّر وطنهم. فقرنوا الدعوة باللسان إلى العقيدة في القلب، وقرنوا العلم بالعمل، فعصمهم الله من أن تزيغ أهواؤهم، أو تجرفهم الفتن.

وأما الأمر الثاني، فإني رأيت الحديث عن تلك الحقبة من تاريخنا الحديث، واجبًا ينبغي القيام به؛ لأن كثيرًا من أحداثها ما زالت غائبة عن وعي الجيل المعاصر، ولأن كثيرًا مما نشره روّاد النهضة ودعاة الإصلاح في تلك السنوات، طوته يد الغفلة والنسيان، وشغل الناسَ في هذا العصر تمتُّعُهم بثمرات ما غرسه أولئك المصلحون عن شكرهم لِما قدَّموه، بل عن ذكرهم، وإحياء سيرتهم، وفاءً لهم، واعترافًا بفضلهم... إن كثيرًا من الرجال الذين ضمّهم المجمع، ومن الذين قامت على سواعدهم المعاهد والجامعات، ومن الذين عاشوا أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، يحسُن أن ننشر أخبارهم، وأن نجعلهم قدوة يهتدي بهدْيها الشبّان من أجيالنا بعد أن شَغلتْهم الحياة المعاصرة بكل شيء إلّا أن يعرفوا: مَن هم؟ وأن يعرفوا تاريخ أمّتهم، وأخبار تحرّرهم،

وصراع أجدادهم وآبائهم، وما كابدوه من معاناة وآلام ليحفظوا لهم ما ورّثوهم إيّاه من لسانٍ عربيّ ينطقون به، ويجتمعون عليه فيُوحِّدهم، ومن وطنٍ عربيٍّ حرّ مستقلّ، يَنعمون فيه بالحريّة والأمان.

إن من أحسن ما نكتبه اليوم، هو ما نقابل به أحسن ما عمله أولئك الرجال السابقون الصادقون، وإن ما عملوه كان دواءً للعصر الذي عاشوا فيه، وكان ذا عائدة عليهم وعلينا وعلى الوطن كلِّه.

لقد كانت حياة كل واحدٍ منهم كتابًا، كلُّ صفحة من صفحاته يومٌ من عمر صاحبه، وكلُّ سطر من سطوره نور ينطق بالعزّة والكرامة، ويدعونا إلى ذكر مَن سطَّره، والاعتراف بفضله.

وقد كلّف المجمع إحدى لجانه الاهتمام بأعمال الرجال الأوائل من أعضاء المجمع الراحلين، وإعداد كتب عنهم تُعرِّف بهم، وتذيع أعمالهم، وتؤرخ إنجازاتهم، وتنشر آراءهم، وهم الذين أناروا مشاعل العلم والمعرفة، وسخّروا ألسنتهم وأقلامهم لإنعاش اللغة العربيّة والدفاع عنها، ولبعث العروبة لغةً على لسان الأمّة، وعاطفة في قلوب أبنائها، وشعورًا صادقًا في الانتماء إليها، وبذلوا في سبيل ذلك جهودًا مضنية، بِهممٍ عالية، وعزائم ماضية، ونفوس راضية.

واستعانت لجنة أعمال المؤسِّسين بعدد من الكتّاب والمؤلِّفين الأفاضل، وأصدرت حتى الآن كتبًا عن ثمانية منهم، وأنجزت ستة كتب أخرى، هي في طريقها إلى المطبعة، ومازال عدد آخر من الكتب في مراحل مختلفة من الإنجاز.

وألحقتُ في آخر هذا الكتاب صفحات كتبت فيها عن طائفةٍ من أعلام أولئك الرجال تراجم موجزة تذكِّر بحياة المترجَم وإنجازاته، أوردتُ تراجمهم بحسب تواريخ وَفَيَاتهم.

إن أحقَّ الناس بالوفاء لهم، مَن بنَوْا لأبنائهم وذريَّتهم، ومن قدَّموا لأمّتهم ووطنهم. وأولى الناس بالحبّ مَن آثروا غيرهم بالعطاء.

وإنّي إذ أحمد الله الذي بفضله تتمّ الصالحات، أقدّم شكري للزميلين الكريمين الأستاذ الدكتور مروان المحاسني الذي تفضّل بتقديم الكتاب، والأستاذ مروان البواب الذي راجع الكتاب وأفادني بملاحظاته الدقيقة المتعلقة بالكتاب مادّةً وإخراجًا.

٩ ذي القعدة ١٤٣٦هـ

٢٣ آب ٢٠١٥

المؤلّف

مازن المبارك

* * *

مع طلائع النهضة

إن أكثر الذين أرَّخوا للاستقلال في قطرنا بدأ التأريخ عندهم من وصول الأمير فيصل إلى دمشق في ١/ ١٠/ ١٩١٨. وسنعود إلى الحديث عن ذلك.

ولكنا نقف هنا لنقول إن مدن الشام كانت قبل هذا التاريخ بسنين طويلة تغلي وتموج بحركات وطنيّة وقوميّة، تغذِّيها روح عربيّة نزَّاعة إلى إحياء اللغة العربيّة التي لم تَدعْ لها اللغة التركية متنفَّسًا على الألسنة ولا رسمًا على الأقلام.

إن شدَّة الضغط، وكتم الأنفاس، والتعصّب على العرب من الاتّحاديين الأتراك، ولَّد ردّة فعل خلقت وعيًا عربيًّا بدت آثاره في بلاد العرب بصُوَرٍ مختلفة من صنوف المقاومة السريّة والعلنيّة، من تشكيل للجمعيّات، وتجمّعٍ حول شعارات وطنيّة وقوميّة، ودعوات عربيّة إلى التحرّر الوطني.

كان الإصلاحيّون يسعَون إلى إنهاض الأمة بتحريرها، وإحياء تراثها، وبعث لغتها ونشرها، والتذكير بتاريخها وحضارتها.

لقد كان أولئك الروّاد من آبائنا وأجدادنا- وليتنا مثلهم- يعلّمون اللغة والوطنيّة معًا؛ لأن اللغة والوطن عندهم صِنوان، وقرينان متلازمان، فرعايتهما معًا، وبَعثُهما سليمَين معًا، هو الطريق إلى حياة الأمة، وعودة المجد، وصناعة التاريخ.

إن أهمّ ما كانت النخبة الواعية من رجال العرب تفكِّر فيه، حين أشرق فجر القرن العشرين هو الهمُّ العربيّ الذي يتمثّل في تحرير العرب وإحيائهم، بل قل هو الهَمُّ اللغويّ الذي وجدوه داعية إلى التحرير ووسيلة إلى الإحياء، فلا

تحرير للعرب إلّا إذا تحرّرتْ ألسنتُهم وانطلقت بلغتهم، ولا إحياء لهم إذا لم يُحيوا تراثهم، ولا سيادة لهم في أوطانهم إذا لم تكن السيادة فيها للغتهم، فكيف واللغة الرسميّة في بلادهم هي التركية؟ وهي لغة الحكّام والموظَّفين، ولغة التدريس والتعليم. ولم تكن ألسنة أكثر العرب بأحسن حالًا من ألسنة الأتراك أنفسهم. ولقد أدرك جيلي كثيرًا من المعمَّرين العرب الذين بقيت التركية عالقة بألسنتهم تُطلّ من بين ألفاظهم وخلال أحاديثهم.. نسمعها في الأسواق والشوارع والبيوت!

لقد استطاع رجال الإصلاح في ذلك العصر أن يضيئوا البلاد بنور العربيّة المشرقة بعد ظلمة العُجْمة والتريك، وكانوا روّاد نهضة عربيّة ودعاة إصلاح، ولقد كان أبرز ما امتازوا به، أو امتازت به دعوتهم، أنهم رأوا في حياة العربيّة، وبعثِها سليمة نقيّة، حياةً للوطن وبعثًا للأمة. فراح كلّ منهم يعمل ليله ونهاره، في إنكارٍ عجيب للذَّات، وإخلاص شديد لرسالته، نشرًا للّغة وتعليمًا لها، وتأليفًا بها، وتحقيقًا لتراثها، وتعميقًا للوعي بها، وترسيخًا للانتماء إليها، ولسانُ حالهم يقول: تحرير الألسنة من العُجمة، كتحرير الوطن من الأجنبيّ. وسيادة اللغة في موطنها رمزٌ لحريّة الوطن واستقلاله. فاللغة روح الوطن، والأرضُ والناس جَسَده، ولا حياة لجسد بلا روح، ولا استقلال لوطن بلا لغة، ولا مجد للعرب إلّا بوَحدتهم، فكان كلّ ذلك عندهم تعريبًا عبّر عنه شِعارُ المجمع.

شعار المجمع

هو غصن زيتون وسَعَفة نخل، يَضُمّان بينهما شُعلة تضيء[1]، وهو تصوير

(١) انظر صورة شعار المجمع في الملحق ص ١٦٣.

لبيت الفرزدق:

فنُصحي لكمْ قادَ الهوى مِن بلاده إلى مَنبِت الزيتون مِن منبت النَّخْلِ

فكانت رسالتهم تجمع وطن الزيتون في مغرب الوطن العربي، إلى موطن النخل في مشرقه، وهما جناحان يحيطان بشعلة مضيئة تبعث النور من بلاد الشام.

لقد كانت فكرة الشعار تراود المجمعيين، ويتكرر الحديث عنها في جلساتهم حتى طلع عليهم زميلهم الأستاذ خليل مردم بك في إحدى جلسات سنة ١٩٤٥ باقتراح صورة للشعار مُنتزَعةٍ من بيت الفرزدق، يرمز غصن الزيتون فيها إلى السَّلام، وتشير سَعَفة النخل إلى بلاد العرب، ويدلّ تعانق الغصنين على التقارب والتضافر، كما تدلّ الشعلة على النهوض باللغة واستمرار نورها. ويحيط بكل ذلك إطار يرمز إلى النظام والانضباط والاستقامة.

ولم يكن الشعار في أول أمره ملوَّنًا، ولكنهم أضافوا إليه الألوان بعد ذلك، وجعلوها بألوان الرَّاية العربيّة؛ فكان لون الغصن والسَعَفةِ أخضرَ، للدلالة على النّماء، ولون الشعلة أحمر للدلالة على التوهُّج والاستمرار، ولون الإطار أسود للدلالة على الجِدّ والحزم، وتركوا ما وراء ذلك أبيض، للدلالة على الصَّفاء والنقاء. وهكذا، بدأ ظهور الشعار على المجلّة ومطبوعات المجمع منذ سنة ١٩٤٥م[١]، وأما الشعار الملوَّن فلم يظهر قبل سنة ١٩٧٦م.

وهكذا كان شعار المجمع رمزًا عربيًّا، حافظًا للهويّة العربيّة، جامعًا لشمل الأمّة بجغرافيتها المكانيّة، وألوان راياتها المشتركة، ورعاية تاريخها وتراثها.. وعماد ذلك كلّه العملُ على بقاء لغتها الواحدة الموحَّدة شُعلةً تضيء لِتَجمع حولها الأمَّة الناطقة بها.

---

(١) ظهر الشعار أول مرة على غلاف المجلّد العشرين الصادر في سنة ١٩٤٥.

لقد كان التعريب عندهم ابنَ عصرهم، ومَطلَب أمّتهم التي أُبعدت عن العروبة، أو أُبعدت العروبة عنها، وفُرضت عليها العُجمة وأُلبست غيرَ لباسها.

معنى التعريب عندهم

تلك كانت رسالة التعريب المجمعيّة، لذلك لم يكد يتمّ الجلاء التركيّ عن بلاد الشام حتى أعلن المجمعيّون ومَن معهم من رجال الإصلاح النَّفيرَ لمعركة بناءٍ يشارك فيها كلُّ قادرٍ على تغيير أيّ شيء من تركيّ إلى عربيّ، تغييرٍ في اللسان والقلم، في المدارس والدواوين من مدنيّة وعسكرية. لقد عرّبوا أعجميّة الدولة وعُجمةَ الشعب، وكان التعريب عندهم رسالةَ نهضةٍ ومنهجَ إصلاحٍ، توحِّد الشعب، وتنقله إلى حياة عربيّة، وتجمع بينه وبين إخوته العرب في أقطارهم الغربيّة والشرقيّة.

لقد آمنوا أنهم عن طريق اللغة يوحِّدون الشعوب الناطقة بها، وبذلك كانت دعوتهم إلى التعريب دعوةَ لسانٍ عربي وعملٍ وطنيّ ونضالٍ قوميّ، وبذلك نطق الشاعر عبد الغني حسن حين وقف على منبرهم فقال:

بِنتُ عدنانَ وحَّدتْ مِن قديمٍ ... بينَ أهلِ الإنجيلِ والقرآن
لغةٌ تَجمعُ القلوبَ على الحبِّ ... فتَمضي سويَّةً في العِنان
إنّ مَن فرَّق العروبةَ أرضًا ... لم يُفرِّق منّا سِوى الأبدان
نحن إنْ نَجتمعْ على اللّغةِ الفُصـ ... ـحى سنبقى في وَحدةٍ وأمان

وقد استمرّ العمل التعريبيّ والتحريريّ سريعًا نشيطًا بعد الاحتلال الفرنسيّ الذي لم يستطع بفضل جهودهم أن يفرض لغته في سورية كما فرضها في الجزائر، لأنه وجد الشعب السوريّ قد استطاع بقدرةٍ فائقة أن يُزيح اللغة

التركيّة التي كانت جاثمة مُستحكِمة، وأن يُحَلَّ محلَّها لغته العربيّة في كلِّ مرافق الدولة، وفي كلِّ مجال من مجالات الحياة الاجتماعية.

وقد قاسى مَن كان يجاهر بالتعريب أو يدعو إليه مِن رجال المجمع وأقرانهم:

فلوحق الشيخ طاهر الجزائري، واقتُحم بيته، فغادر دمشق.

ولوحق التنوخي فهرب متنكّرًا إلى السعودية ثم إلى العراق، وحُكم غيابيًّا بالإعدام.

وسُجن الشيخ سعيد الكرمي في قلعة دمشق أيام جمال باشا، وكذلك سُجن الشيخ الخضر حسين التونسي. ولوحق الزركلي وحكم بالإعدام غيابيًّا ونفي سليم العنحوري. وسُجن محمد البزم، وذكر ذلك في قصيدة له مطلعها:

لا الـسجنُ يَردعُـه ولا أغلالـه عـن غايـةٍ تـسمو بهـا آمالـه

وسأذكر ما يخصّ كلًّا منهم في الحديث الذي سأفرده له في آخر البحث.

لقد كانت معركةُ التعريب واحدة؛ وكانت معركةَ تحرير اللسان من العُجمة، وتحريرَ الوطن من الأعجميّ.

ولم تلبث دعوتهم أن وجدت الصدى القويّ، والأرض الخِصبة، وساعدت على إنجاح الدعوة حكومةٌ واعية، ورجال مخلصون، وشعب يستجيب، فاستطاعوا أن يقلبوا في سنوات قليلة صفحة الكتاب الوطني من تركيةٍ وعاميّة إلى عربيّة اكتسحت دواوين الدولة، وعمَّت في الجرائد والكتب المدرسيّة، وظهرت مستعلية على الألسنة والأقلام!

فكيف كان ذلك؟ وكيف تمّ التعريب بعد التتريك بتلك السرعة الفائقة؟ وهل يقدِّر عرب اليوم جهود أولئك الرجال الذين أوصلوا إلينا لغتنا، ودفعوا ثمن ذلك جهودهم وأعمارهم ؟!

بوادر قديمة

وكما رأينا أنه لا يصحّ البدء بتأريخ الاستقلال بتاريخ وصول الأمير فيصل إلى دمشق، فكذلك لا يجوز أن نبدأ الحديث عن التعريب، وعن النشاط الإصلاحي للمجمعيِّين بقيام المجمع في حزيران من سنة ١٩١٨م.

إن من يظن أن الأستاذ كرد علي عرف زملاءه الذين انتُخبوا في المجمع عند تأسيسه، أو تعرَّفهم عند تعيينهم فهو واهم. لأنه - رحمه الله - كان واحدًا مِن ثُلَّة من الرجال الناشطين في ميادين العمل الاجتماعيّ والوطنيّ والثقافيّ واللغويّ.

إنهم نُخبة جمعتْ بينهم حميّةٌ عربيّة، ورغبة في النهضة والإصلاح، وألَّفت بينهم محبّة غالبة للعروبة ولغتها، وحسرةٌ حارقة على ما آل إليه أمر البلاد والعباد ولغةِ الضاد، فقامت بينهم علاقات وصلات وصداقات، على بُعد ما بينهم من ديار، وعلى اختلاف أعمالهم ومواقعهم في الدولة والمجتمع. لم يكونوا كلُّهم من دمشق، بل كانوا من أقطارٍ أو ولايات عربية مختلفة، ضمَّتهم في ذلك العصر وَحدةُ الحُكم العثماني، الذي أصبح في آخر أيامه حكمًا تركيًّا قوميًّا، وأصبح مناوئًا لكلِّ حركة تحرُّر، سواء أكانت في الحكم أم في اللسان.

كانت حريّة التنقّل بين الولايات تسمح لمن شاء بأن يسافر من بلد إلى آخر، لذلك رأينا من أولئك الرجال مَن لم يكن سوريًّا ممن شارك إخوانه السوريين في نضالهم التحرّري واللغويّ، وممن أصبح مجمعيًّا من زملاء الأستاذ كرد علي الأوائل، فكان منهم الشيخ سعيد الكرمي من طول كرم، والشيخ الخضر حسين من تونس، وعيسى اسكندر المعلوف من لبنان، والشيخ طاهر من الجزائر، ونخلة زريق من القدس. وقد تحدّث عن ذلك أستاذنا الأفغاني حين وصف النشاط العربيّ الذي شاهده في تلك الأيام فقال: «إن النهضة

العربيّة التي ستقرأ نشاطها في الأستانة ودمشق، لم يستقلّ بها الشاميّون وحدهم، بل تعاون عليها معهم عراقيّون ومصريون وليبيّون وجزائريون ومغاربة» وذكر منهم عزيز المصري، والشيخ طاهر الجزائري، ومعروف الرصافي، وجميل صدقي الزهاوي، ثم قال: «فقد تمازجت الأقطار العربية وتساندت في النهوض بحقّ العرب والعربية مطلع هذا القرن.»[1].

وهكذا لم يكن النضال التحرّري والتعريبيّ الذي ملأ الساحة في بلاد الشام مِن صُنْع السوريين وحدهم، بل شارك فيه كثيرٌ من العرب المقيمين في سورية، أو من الذين وفدوا إليها سدًّا للحاجة أو تعويضًا عن النقص الذي سبَّبه نزوح الموظَّفين المدنيّين الأتراك حين جلا جيشهم، وعَيَّنت الحكومة هؤلاء الوافدين واستعانت ببعضهم في دواوينها، ولعلّ ذلك هو ما جعل الأستاذ كرد علي يعتذر عن عدم تمكّنه من العمل مع نفرٍ ممّن كانوا في ديوان المعارف حين جُعل مَجمعًا، ولم يَقبلْ أن يُسمِّيهم أعضاء في المجمع، وقد تحدّث بنفسه عن ذلك وقال «بدأت رئيسًا على جماعةٍ من الشيوخ، منهم مَن درَس العلوم الدينية، ومنهم مَن شدا شيئًا من الأدب، والتجانس بينهم قليل»[2]، وبادر في الجلسة الأولى للمجمع التي كانت يوم ٣٠ تموز سنة ١٩١٩ إلى إعلان أسماء فئةٍ ممَّن ضمَّتْهم ساحة العمل معه قبل أن يضمَّهم المجمع رسميًّا إليه. وكان لكلٍّ منهم عمله في موقعه، ورسالته في عمله، فلم يكن صعبًا على الأستاذ كرد علي أن يجمعهم في مجمع واحد منذ الجلسة الأولى، ليُتمّوا رسالتهم تحت عين الدولة، وبتوجيهٍ منها، بعد أن أصبحت عربيَّةَ الطابع قلبًا وفكرًا، وحكومة وشعبًا، وسلوكًا ولسانًا...

---

(١) حاضر اللغة العربية في الشام: ٩.

(٢) المذكرات ٥: ١٧٧.

الدولة العربية

لم تمض إلا أشهر قليلة حتى قال الأستاذ ساطع الحصري، مصوِّرًا ما كانت تموج به البلاد من نشاط عربيٍّ تعريبيّ: «لقد أصبحت بذلك الدولةُ السورية تستحقُّ اسمَ الدولة العربية بصورة فعليّة»[1].

على أن هذه الشهادة بعروبة الدولة وعربيّتها لم تكن لتصحّ من الأستاذ الحصري، ولم تكن لتصدق، بل لم نكن لنعرف ما تدلّ عليه إذ ذاك إلّا إذا عرفنا كيف كانت الحالة قبلها، وكيف أصبحت بعدها؟

بعد أن تمَّ خَلعُ السلطان العثماني، ظهرت للعيان نِيّات القوميِّين الأتراك، وبدا ما كان خافيًا أو مستورًا؛ لقد تسلّمتْ الحكمَ جمعيّة الاتحاد والترقِّي، وظهرت الجمعيات التركيّة المتعصِّبة، وراحت تشيد بجنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك، وانطلقتْ تحارب العربَ والعربيّة، وتُضيِّق عليهم عَيْشَهم، وتُلجم ألسنتهم عن العربيّة، وتجعل الدولةَ التي كانت (عثمانية وإسلاميّة) للجميع، دولةً (تركيّة) للأتراك وحدَهم! وتُتَرِّك كلَّ ما في الحياة من لغةٍ وانتماء ومقوِّمات !

ومعروف أن العنف لا يولّد إلّا العنف، وأن التعصّب لا يخلق إلا التعصّب المضادّ، ولذلك كثرت الجمعيات العربية من سريّة وعلنيّة، فكانت (جمعية النهضة العربية)[2] التي أسسها سنة ١٩٠٦ محب الدين الخطيب، وكان معه فيها عارف الشهابي، وعبد الكريم قاسم، وشكري الجندي، ويشرف عليهم الشيخ طاهر الجزائري. وكانت جمعية (المنتدى الأدبي) التي أسست سنة ١٩٠٩، و(جمعية العربية الفتاة) التي أسست سنة ١٩١١، و(جمعية العهد) التي

---

(١) يوم ميسلون ص٣٠.

(٢) وتجد حديثًا مفصَّلًا عنها في «مكتب عنبر» لظافر القاسمي: ٩٩.

أسست سنة ١٩١٣، و(جمعية الإفصاح) التي أسَّسها عز الدين التنوخي ببيروت، وهي تُلزِم أعضاءها الكلامَ باللغة العربية الفصحى.

ولعل ذلك كان بعض ما يفسِّرُ كَوْن الصراع في ذلك العهد صراعًا تعريبيًّا مُزدَوجَ الوجه، مزدوج الميدان، أعني أنه كان صراعًا لتحرير الوطن، وصراعًا لتحرير اللسان، إنها كانت معركة تحرير البلاد من الحكم التركيّ، وتحرير العباد من اللغة التركية[1].

وقد قام العرب في بلاد الشام كلِّها بواجبهم نحو وطنهم ولغتهم، وكان منهم نخبة من رجال الأدب واللغة والفقه والعلوم المختلفة من طبّ ونحوه ومن وطنيِّين ودعاة إصلاح، وكانوا موزَّعين في بلاد الشام التي هي اليوم سورية والأردن وفلسطين ولبنان، وكانوا يجتمعون في دمشق، سرًّا قبل جلاء الأتراك، وعلنًا بعد الاستقلال[2]، غايتهم تحرير الأمَّة، وإنهاضها من كبوتها، وبعث الحياة من جديد في لغتها التي وُئدت حيّةً في الدُّور والمدارس والدواوين، وفي كثيرٍ من مظاهر الحياة اليوميّة لَتنوبَ عنها لغة تركيّة زاحمتها وأزاحتها لِتحلَّ محلَّها، لا لجدارةٍ أهَّلتْها لها خصائصُها، ولكن قسرًا وعَنوة بقوّة الحاكم التركي وسلطانه.

لقد كانت الدروس تُلقى في المدارس وفي المكتب السلطانيّ (مكتب عنبر) باللغة التركية، ولقد أدركتُ عددًا من المدرِّسين الذين علّموا الفقه وقواعد اللغة العربية للطلّاب العرب في دمشق باللغة التركيّة، وأدركت كثيرين قالوا إنهم لم يكونوا يسمعون العربيّة في أواخر العصر التركي إلّا إذا تُلي القرآن في مسجدٍ أو علا أذانٌ في مئذنة...

---

(١) للاستزادة من وضع العربيّة وتعليمها أواخر العصر التركي، ينظر كتاب «محاضرات في الاستعمار» للأمير مصطفى الشهابي ٢ : ٢٨.

(٢) انظر أمثلة من هذه الاجتماعات في الحديث عن «عارف التوّام» في هذا الكتاب ص١٠٥.

لقد كانت أول بارقة أمل في عودة العربيّة إلى أصحابها في القرار الذي اتّخذه المؤتمر العربيّ الذي عُقد في باريس في حزيران سنة ١٩١٣، ونصّ على أن «اللغة العربيّة يجب أن تكون معتبَرَة في مجلس النوّاب العثماني. ويجب أن يقرِّر هذا المجلس كَوْن اللغة العربية لغةً رسميَّة في الولايات العربيّة» فاستجابت الدولة في اسطمبول، وصدر قرار في شهر آب من السنة نفسها يقول «يكون التدريس باللغة العربيّة في جميع مدارس الولايات التي تتكلَّم أكثريَّةُ سكّانها هذه اللغة، في المدارس الابتدائية والإعدادية، ويُنظر من الآن في الوسائل التي تؤدّي إلى جعل التعليم العالي في البلاد العربية باللغة العربيّة» ! وليت هذا القرار يُعمل به اليوم في البلاد العربيّة !! وهو الذي دأب على الدعوة إليه منذ عام ١٩٢٤ كلٌّ من جميل الخاني ومصطفى الشهابي، ودعا إليه بعدهما كثيرون !

هكذا كانت الصورة في تلك السنين التي سبقت الحكم العربي، وهي صورة تتمثَّل في صراعٍ ذي صفحتين؛ إحداهما وطنيّة قوميّة، والثانية ثقافية لغويّة. وهكذا يكون الصراع اللغويّ في كلّ زمان وكلِّ مكان صراعًا يمثّل الصراع من أجل التحرّر والسيادة، لأن اللغة رمز التحرّر وعنوان السيادة.

إنجازات الحكومة العربية

دخل الأمير فيصل دمشق في اليوم الأول من تشرين الأول سنة ١٩١٨. وفي اليوم الخامس من الشهر نفسه تشكَّلت الحكومة العربيّة. فكيف تسير الأمور إذا كان الحاكم عربيًّا وكان موظَّفوه في جميع الدوائر ومؤسسات الدولة ودواوينها أتراكًا حقيقة، أو عربًا بلسان أتراك؟ لقد رحل مَن رحل من الموظفين الأتراك برحيل جيشهم، وبقي مَن بقي مِن موظفين من العرب الذين لا يُحسنون العربيّة، والذين ألِفوا التعبير بالمصطلحات التركية في جميع أعمالهم وكتاباتهم.

لقد واجه عرب الشام حكومةً وشعبًا، تحدِّيًا قاسيًا صعبًا، ولكن إيمانهم، حكّامًا ومحكومين، ورجالًا من المفكرين والعلماء المخلصين، كان أقوى من التحدِّي، فلم يلجؤوا كما يفعل أبناؤهم اليوم إلى عقد المؤتمرات لدراسة المشكلات وإصدار التوصيات، بل قلبوا صفحة حياتهم، بل قل عرَّبوا حياتهم بإجراءات سريعة إلى الحدّ الذي كانت فيه بعض تلك الإجراءات تُنفَّذ ثم يُتَّخذ قرار تنفيذها بعد نفاذها بيومٍ أو أيّام !

لقد عدّ الأستاذ الأفغاني - وهو شاهد على ذلك العصر - سرعة التحرّر اللِّساني العربي والقومي في تلك المدّة القصيرة من «الخوارق» فقال: «كانت التَّرِكة التي على العهد الجديد (يعني الحكومة العربية أيّام الأمير فيصل) تَصْفِيتُها ثقيلة معجزةً؛ لكن الله آتى القائمين على الأمور حينئذٍ من حافز الإيمانِ وصدق العزم وقوة الغيرة وإخلاص العمل ما طهَّر البلاد منها تطهيرًا دخل في نطاق الخوارق، وكيف لا يكون كذلك وقد أتى في سنتين على آفاتٍ ورواسبَ ورواسخ بقيت تتوطَّد مئات السنين»[1].

وأُضيفُ أنه يجب ألّا ننسى أن هذه الخارقة العربيّة كانت السببَ الأبرز الذي ألجم الهجمة الفرنسية، فلم تستطع مع إقامتها في بلادنا مدّة خمس وعشرين سنة أن تُحِلَّ الفرنسية محلّ العربية كما فعلتْ في مستعمراتها الأخرى. لقد كان ذلك بسبب تكاتفٍ رسميّ حكوميّ وتطوّعيّ شعبي قام به أهل الدويلات السورية السابقة في دمشق وبيروت وطرابلس وحلب ولبنان وفلسطين والأردن، ومعهم عرب آخرون من العراق ومصر والمغرب والحجاز... فكان الجميع سدًّا عربيًّا بل بناء عربيًّا صَعُب اختراقه، واستكمل

---

(١) سعيد الأفغاني. «حاضر اللغة العربية» : ٥٧.

دعائمه بسرعة، ورأى فيه القريب والبعيد ما قاله عنه ساطع الحصري «إنه دولة عربيّة بصورة عملية صادقة صحيحة». ولقد كانت تلك الأيام المجيدة هي التي سجّلت لسورية هذا السَّبق في التعريب لسانًا ودواوين، ومدارس ومعاهد وجامعات، وتعليمًا عاليًا، ومصطلحات علميّة وطبيّة، ومدنيّة وعسكرية.

إن من يقرأ ما كتبه الذين عاشوا في تلك الأيام، أو يسمع - كما سمعت بنفسي - من ساطع الحصري ومحمد كرد علي وغيرهما، يجد ما يبعث على الأمل في أن العرب إذا اتّحدت غاياتُ حكَّامهم وشعوبهم، وخطَّط حكامهم ومفكِّروهم وعلماؤهم لتحقيق غاياتهم بإخلاص، كانوا أسبق من الزَّمن في تحقيق ما يصبون إليه، وصنعوا المعجزات. لقد شعروا بالحاجة إلى إحلال اللغة العربية السليمة محلَّ اللغة التي سادت في الدواوين وسادت فيها العجمة والركاكة، وأرادوا - كما قالوا - أن تكون أساليبهم في العروبة أعرق، وبالفصاحة أعلق.

لم تلبث الحكومة العربيّة أن شُكِّلت حتى شَكَّلت في أقلّ من شهرين عددًا من اللِّجان، كانت تسمِّيها شُعَبًا فنيّة وإداريّة لأعمال الدولة المختلفة.

منها شعبة أو لجنة لمساعدة الحاكم فيما يصدر عنه من كتب أو قرارات، فيها: سليم الجندي، وشاكر الحنبلي، وسعيد المسوتي.

ومنها شعبة الترجمة والتأليف، فيها: الشيخ أمين سويد، وأنيس سلّوم، وعز الدين التنوخي، والشيخ سعيد الكرمي، وعيسى اسكندر المعلوف.

ومنها لجنة التعريب، فيها: طه الهاشمي، ورشيد بقدونس، وعبد القادر المبارك، ومراد الاختيار.

ومنها لجنة المصطلحات والكتب المدرسية، فيها: ساطع الحصري، ورشيد

بقدونس، وعز الدين التنوخي، وعبد الرحمن الشهبندر، وأديب التَّقي.

وسُمح لبعض هذه اللجان أن تستعين بمن تشاء، وكان ممّن استعان بهم بعضها: نخلة زريق[١] وتحسين الفقير[٢] وعارف التوّام[٣].

وكان منها شعبة تعليم الموظفين، وفيها: خليل مردم، وسليم الجندي، وأنيس سلّوم. ثم أصبحت هذه الشعبة بعد مدّة تحمل اسم (مدرسة الكتّاب والموظَّفين)، وكان الجندي يعلّم فيها النحو والصرف، وأما خليل مردم فيعلّم الإنشاء، وكان الموظّفون يجتمعون ساعتين كلَّ ضحوة نهار، في بهو دار الحكومة. وقد قرأت ما كان خليل مردم يعلّمهم إيّاه، ويمليه عليهم من توجيهات نظريّة للكتابة أو للإنشاء، وما يدرسونه معه من النصوص، مما يدلّ على جودة المنهج وسعة الاطّلاع[٤].

لقد كان خليل مردم أول معلّمٍ للإنشاء أيام الحكومة العربية، وكانت وظيفته تسمَّى (رئيس ديوان تمييز الإنشاء). وكان من أوائل الذين ألّفوا كتبًا مدرسية في سلسلة سمّاها (أئمة الأدب) ساعيًا فيها إلى نشر الأسلوب الأدبي في نثره وشعره، في تدريسه وفي المجالس التي كان يعقدها في بيته[٥]، وفي الكتب التي نشرها عن الجاحظ وابن المقفّع وأمثالهما. وأما دروسه في الإنشاء فقد نشر

---

(١) نخلة زريق: أحد علماء العربيّة في القدس، شارك في التعريب الذي قامت به الحكومة العربية الأولى في بلاد الشام أيام فيصل، وكان عضوًا مراسلًا في المجمع العلمي العربي بدمشق. نعاه المجمع في مجلّته (المجلّد الثاني من سنة ١٩٢١).

(٢) تحسين الفقير: دمشقي، أنهى دراسته الثانوية، ثم التحق بالكلية الحربية باستمبول وحاز رتبة ملازم سنة ١٩٠٥. وشارك في الحرب العالمية الأولى، وعاد إلى دمشق سنة ١٩١٨ وانتسب إلى الجيش العربي الذي شارك في إنشائه في العهد الفيصلي. وكان قائد الفرقة الأولى في معركة ميسلون. توفي سنة ١٩٤٨.

(٣) عارف التوّام: انظر الحديث المفصّل عنه في هذا الكتاب ص ١٠٥.

(٤) انظر الملحق ص: ١٤٣.

(٥) تجد أخبارها مفصّلة في الحديث عنه في هذا الكتاب. ص ١٢٣.

بعضها ابنه عام ١٩٥٨ بعنوان (محاضرات الخليل في الإنشاء).

وكان الشيخ عبد القادر المبارك يعلّم الإنشاء والخطابة في المدرسة الحربيّة[1].

تأسيس المجمع وأهدافه

كانت الشعبة الثانية أكثر الشعب أعباءً، وهي التي سُمِّيت فيما بعد في شباط ١٩١٩ بديوان المعارف، وجعلت مُهمَّتُها: تدبيرَ أمور اللغة العربية، وإحلالَ الألفاظ العربيّة محلّ التركية. وأُسندت رئاستها إلى الأستاذ محمد كرد علي. ثم أصبح اسمها في ٨ حزيران سنة ١٩١٩ المجمع العلميّ العربيّ. ومنذ ذلك التاريخ أصبح المجمع مسؤولًا عن أمور اللغة العربيّة، وقيِّمًا عليها في المجالين الرسمي والشعبي. واستطاع المجمع في مدّة قصيرة من الزمن، وبسرعة عجيبة أن يؤسِّس نفسه بأعضائه وبنائه، وأن يباشر نشاطًا مثمرًا على النطاقين الرسمي والشعبي.

أبقى الأستاذ كرد علي بعض موظَّفي ديوان المعارف أعضاءً في المجمع، وأضاف إليهم آخرين ممن عرفهم أو جمعهم العمل العربيّ المشترك من قبل حتى استوى عددهم اثني عشر عضوًا ضمّتهم الجلسة الأولى لأول مجمع عربي في الوطن العربي في الثلاثين من تموز ١٩١٩ وأعلنوا أن رسالتهم تتمثَّل أهدافها في الأمور الآتية:

١- تدبير أمور اللغة العربية.

٢- نشر أدب اللغة وإحياءُ التراث.

٣- ترجمة كتب العلوم والصناعات عن اللغات الأجنبية.

٤- تأليف ما تحتاج إليه البلاد من كتب بأساليب عصريّة.

---

(١) تجد أمثلة مما كان يعلّمه في الملحق. ص١٤٦-١٥٥.

٥- جمع المخطوطات والآثار.
٦- طبع الكتب اللغوية والعلمية.
٧- التدقيق في الكتب المدرسيّة.
٨- وضع المصطلحات، وتعريب لغة الدواوين.
٩- إصدار مجلّة لنشر أفكار المجمع، لتكون صلة بينه وبين العالَم.
١٠- إلقاء المحاضرات.

رسائل المجمع

لم يمض شهران على تأسيس المجمع حتى كانت رسائل رئيسه تتَّجه شرقًا وغربًا إلى العرب والمستشرقين، ومراكز الدراسات والأبحاث، تُخبرهم أن مؤسَّسة علمية عربية قامت في دمشق، وتشرح لهم رسالتها وتبيِّن أهدافها، وتَمدّ يد صداقتها وتعاونها إلى الجميع. وهذه أول رسالة أذاعها المجمع في التعريف بالمجمع وأغراضه:

الحكومة العربية

المجمع العلمي العربي — **Académie Arabe**

بدمشق — **à Damas**

سيدي:

تألف مجمعنا العلمي العربي في أوائل سنة ١٩١٩ من ثمانية أعضاء ورئيس. وقد وكل إليه النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد. وعني أيضًا بجمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات وأوان ونقود

وكتابات وما شاكل ولا سيَّما ما كان منها عربيًّا. كما عني بجمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفرنجية على اختلاف موضوعاتها. فاتخذ له مقرًّا في أقدم مدرسة عربية من مدارس دمشق وهي المدرسة العادلية الكبرى المنسوبة إلى بانيها الملك العادل شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الشهير، المتوفى سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) وفيها ضريحه أيضًا فرممها المجمع المذكور بعد أن احترقت مرتين وتشوهت حجارتها ولا سيَّما في غزوات التتر، وآخرها غزوة تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م). فأعاد إليها طرزها الهندسي القديم المعروف بفخامة الحجارة وحسن نحتها واتساع ردهاتها وغرفها. وأفرز من هذه المدرسة قسمًا لدار الآثار والعاديات ضمَّ إليه في بضعة أشهر كثيرًا من التماثيل والآثار المختلفة من حجرية ومعدنية وزجاجية وخزفية ولا سيما مجاميع النقود العربية وغيرها مما سيصفه قريبًا في فهرس عام مطبوع. وهذا المتحف مفتوح الأبواب للمتفرجين معظم ساعات النهار ما عدا أيام العطلة من كل أسبوع.

واتخذ المجمع المومأ إليه مقرًّا للمكتبة العامة مدرسة الملك بيبرس البندقداري المعروف بالظاهر المتوفى سنة ٦٨٦هـ (١٢٧٧م) وفيها ضريحه وضريح ولده الملك السعيد وهي قديمة البناء جميلة الهندسة مرصعة بالفسيفساء المُمثِّلة أبدع النقوش العربية في ذلك العهد. وكانت هذه المكتبة قد تأسست سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) باسم الظاهرية وجُمع فيها نحو أربعة آلاف مجلد معظمها مخطوط. فعني المجمع الآن بأن يضيف إليها نوادر المخطوطات والمطبوعات من شرقية وغربية. فابتاع لها أكثر من ألفي مجلد حتى بلغ عدد مخطوطاتها زهاء ثلاثة آلاف مجلد بينها أمهات الكتب المفيدة في التاريخ والأدب والفنون المختلفة بخطوط قديمة كثير منها بيد مؤلفيها، ونسخ مضبوطة بقراءتها على كبار العلماء. وهذا المجمع ساعٍ الآن بابتياع

الكتب المفيدة لها من أوربية وشرقية. وسينشر فهرسها المطول مطبوعًا قريبًا إنْ وفَّق المولى. فجاءت هذه المكتبة عامة معدَّة للمطالعة معظم ساعات النهار ما عدا يوم الثلاثاء من كل أسبوع.

ذلك فضلًا عن عناية هذا المجمع بوضع بعض التواريخ، وتعريب بعض الكتب المفيدة، وطبع الرسائل العلمية اللغوية في الأوضاع المدنية، وغيرها، وهو سيصدر قريبًا مجلة باسم (مجلة المجمع العلمي)، شهرية مصورة ينشر فيها أعماله وأفكاره، لتكون رابطة بينه وبين دور الكتب والآثار والمجامع العلمية وأمهات المجلات في الغرب والشرق.

هذه نبذة من أعمال مجمعنا الحديث النشأة الذي يبذل جهده في تطبيق خططه العلمية على أسدّ الخطط الحديثة فيرجو إذن أن تتوثق عرى صلاته مع المجامع العلمية والجامعات والمجلات والمكاتب والمتاحف في الشرق والغرب.

فإذا راق لكم عمله نرجو أن تُنيلوه شرف تكرّمكم عليه بفهارسكم وبرامجكم ومؤلفاتكم وأعمالكم المفيدة ليستفيد منها ويُضيفها إلى مجاميعه، كما أنه سيقابلكم بالمِثْل في ما ينشره من أعماله، ونرجو أن يكون فاتحة خير له التعارف بمعهدكم العالي وذلك خير ختام[1].

وهذا عنوان مراسلته (دمشق: المجمع العلمي العربي)

دمشق { ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ

٢٠ أيلول سنة ١٩١٩م }

رئيس المجمع العلمي العربي

محمد كرد علي

(١) مجلة المجمع المجلد ١ الجزء ١ ص ٦.

وكذلك كانت نشرات المجمع توجَّه إلى دوائر الدولة ومؤسساتها، وإلى المدارس والصحف تسأل عمّا يحتاجون إليه من ألفاظ توضَع أو تعرَّب. وتنهال على المجمع الرسائلُ من الدوائر والفِرَق العسكرية، ومن الدواوين ودوائر الأوقاف والاتّصالات والزراعة والصحّة والشرطة، تسأل عمّا تحتاج إليه، ويؤلّف المجمع اللّجان للردّ على الرسائل والتزويد بالمفردات.

فتاوى المجمع

وكان المجمع ينشر جواب ما يسأل عنه كما ينشر الفتاوى اللغوية.

ولو اطّلعنا على تلك الرسائل وما أجيب به عنها لعرفنا أن كثيرًا جدًّا مما نستعمله اليوم من المفردات ليس إلّا ثمارًا مما أنضجته أعمال أولئك الرجال، من ذلك مثلًا الكلمات الآتية أختارها من تلك الرسائل:

الكلمة	الجواب	الكلمة	الجواب
نومرو	رقم أو عدد	أوراق مرسولة	الرسائل الصادرة
دركنار	حاشية	أوراق موروودة	الرسائل الواردة
خرجراه	نفقات سفر	الطابو	دائرة التمليك
رابور	تقرير	البوليس	الشرطة
بول	طابع	سرقوميسير	مفوَّض أول
صوبا	مدفأة	نوبتجي	آذن أو بوّاب
روزنامة	تقويم	أوده جي	فرّاش
نفر	جندي	ماصة	مكتب
أون باشي	عريف	قاصة	خزانة

الكلمة	الجواب	الكلمة	الجواب
كجوك ضابط	نقيب	البورصة	السوق الماليّة
قدملي يوزباشي	مقدَّم	الكامبيو	سعر الصرف
بيك باشي	عميد	دوسية	إضبارة أو مَلفّ
ميرآلاي	زعيم	البوردرو	جدول الرواتب
بلوك	سريّة	طابور	كتيبة
آلاي	لواء		

ووضعوا تعريفات لكلمات أخرى مثل:

- الدائرة: هي القسم المختصّ بعملٍ من أعمال الحكومة، مثل: دائرة الأوقاف، دائرة المال. فإذا كانت في بناء مستقلّ كانت (دارًا) مثل: دار العدل.
- الديوان: هو القسم المعيَّن لعمل واحدٍ من أعمال الحكومة. مثل: ديوان الرسائل، ديوان المحاسبة.
- المجلس: في اللغة، مكان الجلوس.

وفي الاصطلاح: يطلق على جماعة تُنتخب للنظر في بعض الشؤون العامة كمجلس الإدارة، أو المجلس البلديّ.

- اللَّجنة (بفتح اللّام): جماعة ينتخبها المجلس من أعضائه أو غيرهم، للنظر في بعض الشؤون الخاصّة.

وهذا مثال من الفتوى اللغويّة التي تدلّ على مدى الحرص على استعمال لغة سليمة:

كانت لجنة التعريب قد وضعت كلمات كتيبة وسريّة وفرقة، في مصطلحات القوّات المسلّحة. وكان الإيعاز قبل ذلك يُعطى بصيغة المفرد المذكَّر، نحو:

عسكري سِرْ . فوج سر . فهل يقال الآن: كتيبة سيري؟

ووجّه قائد الفرقة الثالثة في الجيش بتاريخ ١٣/ ١/ ١٩٢٠ إلى رئاسة الديوان الحربي يسأل عن ذلك، وتصل الرسالة إلى لجنة التعريب، وتصدر الفتوى من الشيخ عبد القادر المبارك تقول: «قد تسمِّي العرب رجالًا بأسماءٍ مؤنثة فيقولون يا طلحةُ اذهبْ، ويا حمزة اجلسْ. ولـمّا كان المخاطَب بالإيعازات مذكَّرًا يراد به قسم من الجُند صحَّ خطابه بصيغة المذكّر وإن يكن الاسم الموضوع له مؤنَّثًا لفظيًّا فيقال: فئة سِر، كتيبة سر. وقد خُصِّص هذا بالإيعازات فقط لأنها مَبنيّة على الإيجاز، ويُتصرَّف فيها بما لا يجوز في غيرها. على أن هذا جائز قياسًا على طلحة وحمزة وأشباههما كما تقدَّم. وأمّا أثناء التكلّم عن القطعة أو الفئة أو السريّة أو الكتيبة في رسالةٍ أو كتاب أو نحوهما، فإنه يُراعى لفظها المؤنَّث بالتاء المربوطة، فيقال مثلًا: ذهبتْ سَرِيَّة إلى حمص وقامت بوظيفتها، وجاءت كتيبة، وأخذت القطعة أُهْبتها للسفر غدًا، وأفرزت فئة... وهكذا.

وكان المجمع يرسل كلَّ ما يضعه أو يعرِّبه أو يفتي به إلى الحاكم العسكري لتعميمه. وعني المجمع بلغة الدواوين، ورأى الحاجة تدعو إلى تغييرها، ووضع ألفاظ عربية، فعاد أعضاؤه إلى كتب التراث الأدبي واللغوي والتاريخي يستخرجون منها ما يرونه مناسبًا، ووضعوا ألفاظًا لمعان جديدة لم تكن قبلًا، ونشر دعوة إلى استعمال ما وضعه من ألفاظ جديدة. وقد جاء في أحد تقاريره القول: «وبعد أن اخترنا من هذه الألفاظ ما رأيناه من حاجات دوائرنا اليوم، أخذنا مصطلحات الدوائر الملكية والعسكرية، وبدأنا في اختيار ما يناسبها، ووضع ما لم نجده أو تغييره لتغيّر مفاده اليوم. فاخترنا لها هذه الأوضاع بعد تمحيصها والمذاكرة فيها، راجين أن يُعمَّم استعمال هذه المصطلحات العربية

الفصيحة، إحياء للغة العربية، ورجوعًا بها إلى نضارتها الأولى»[1].

واتَّجه المجمع بخطابه التعريبي واللغوي إلى الجمهور مباشرة، ولم يكتف بالخطاب الرسمي للحكومة من مدنيّة وعسكرية، وراح ينشر في الصحف وفي مجلّته، قوائم الكلمات العربية التي استبدلها بالكلمات الأجنبيّة، وقد قال في إحدى دعواته: «ولا يخفى أن مجرد وضع (المجمع) لهذه الكلمات لا يفيد الفائدة المرغوبة ما لم يتناولها الأفاضل فيستعملوها في كتاباتهم، ويزيلوا خشونتها أو غرابتها بواسطة التداول والتخاطب والتراسل بينهم. وإذا استعمل أحدهم هذه الأوضاع الجديدة حسُن أولًا أن يُتبعه بأصله القديم، فيزيد بذلك وضوحًا وشيوعًا بين الناس؛ فإذا استعمل كلمة (حاشية) مثلًا أتبعها بكلمة (دركنار) واضعًا لها بين هلالين. ونحن على يقين من أن ما اخترناه للكتّاب الأفاضل من هذه التعابير الجديدة لم يكن خير ما يقال وأفضل ما يُعوّل عليه، إذ قد يتّفق لبعضهم أن يخطر له كلمة أو تعبير خير مما وضعناه واخترنا، فله أن يستعمل ما ارتآه هو، كما أن لغيره أن يستعمل ما ارتأيناه نحن، فتحيا الكلمتان معًا أو إحداهما التي تكون أفصح وأصلح»[2].

وقرّر المجمع في ٢٢ حزيران سنة ١٩٢١، أن ينشر سلسلة مقالات بعنوان «عثرات الأقلام» وكلّف أعضاءه المراسلين إمداده بقوائم الأخطاء الشائعة ليعرضها على الأعضاء لبيان آرائهم فيها وتصحيحها.

المجمع والمصطلحات

من الجدير بالذكر أن لجنة التعريب كتبت بناء على طلبٍ من رشيد بقدونس مطالِبةً بعدم تعدّد واضعي المصطلحات، فلقد قال إنه يسمع اختلاف التسميات

---

(١) تجد تفصيل ذلك في «تاريخ المجمع العلمي العربي» ص ٢٢ و٢٣.

(٢) مجلة المجمع ج١ ص ٤٣.

في كتابات الضبّاط، وفي معاملات الدرك مثل الفوج والرهط والفصيل، ويرى أن توحيد هذه التعابير ضروري. وتكتب اللجنة إلى القائد قائلة:

«إن تعدّد مَن يضع المصطلحات يوجب الفوضى في اللغة، ويُصعِّب على العامّة تحصيلها، فإذا بقيت الحالة على هذا لا تمضي سنة إلّا ونرى الكلمات متعدِّدة مقابل معنىً واحد، يستعمل كلًّا منها قسمٌ من الناس يجهل الواحد منهم ما يريده الآخر!»[1].

ويقترح رشيد بقدونس توحيد اللجان العاملة في وضع المصطلحات قبل أن يتّسع الخرق. ويطالب في الرسالة نفسها بتعميم كلمة (مِلاك) التي هي بمعنى كلمة (قادرو) التركية. وما زال بعضنا اليوم يستعمل التركيَّة مُلطَّفة فيقول (الكادر) !!

مجلة المجمع

يستمرّ المجمع في نشاطه فيصدر مجلّة في اليوم الأول من الشهر الأول من سنة ١٩٢١. يبلّغ فيها رسالته، ويتحدّث عن نشاطه، وينشر أخباره، ويجعلها وسيلة اتصال داخليّة وخارجيّة.

وقد ذكر الأستاذ كرد علي في تقرير سنة ١٩٢٢ أن المجلّة «كانت ترسل مجانًا إلى أشهر الجامعات والمجامع ودور الكتب في القارات الأربع، آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا، وبذلك زادت شهرة المجمع في الأندية العلمية، فأصبحت المجامع والجامعات تهاديه بكتبها ومذكراتها ومجلّاتها»[2].

---

(١) انظر أصل الرسالة وصورتها في مجلة المجمع (المجلد ٨٢ ج٢: ص ٢٤٣ و٢٤٤).

(٢) تاريخ المجمع العلمي العربي، ص ١٧٥.

المجمع والكتب المدرسية

يَصدر قرار في أيلول من سنة ١٩٢١ بإحالة الكتب المدرسيّة إلى المجمع ليصحِّح أسلوب إنشائها. فيقوم أعضاؤه بذلك على خير وجه، ويصحّحون كتب الزراعة والمعلومات المدنية، والدروس الهندسية، بَلْهَ كتب النحو والقراءة. وما كان يُطبع كتاب مدرسيّ إلا ويُذكر على غلافه اسم مراجعه من المجمعيّين، وقد أدركت ذلك وشاهدته على بعض كتبي في الصف الخامس الابتدائي.

وأما كتب المدارس الابتدائية والثانوية فقد ألّف لها المجمع لجنة خاصة من الأساتذة ساطع الحصري وعبد القادر المغربي وعز الدين التنوخي وعبد الرحمن الشهبندر ورشيد بقدونس، وسمَّى الأستاذ أديب التقي أمينًا لها وسمّاها «لجنة الاصطلاحات العلمية المُستعمَلة في كتب المدارس»، وهي لجنة عليها أن تتعاون مع الأساتذة المختصّين في العلوم المختلفة للاتفاق على المصطلحات المناسبة لنشرها وتعميمها في الكتب المدرسية.

وكان المجمع يدقّق بناءً على طلب وزارة المعارف الروايات التمثيلية المدرسية من الوجهتين اللغوية والأخلاقية.

المجمع ومؤسسات التعليم العالي

قام بين المجمع والجامعيين في معهدَي الطبّ والحقوق تعاون تعريبيّ وثيق أدّى إلى أن تكون العربيّة لغة التعليم في المعهدين.

وأذاع المجمع نشرة يطلب فيها المساعدة من القادرين في معهدي الطب والحقوق معلنًا أنه يصعب انفراده بالأعمال اللغوية وما تقتضيه من إحاطة بالعلوم والفنون العصرية المختلفة، ومعرفة اللغات الأجنبية[1].

---

(١) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢١ ص ٣٩٢.

ويصوّر ذلك د. عزة مريدن فيقول: «أنشئ المعهد الطبي العربي بدمشق سنة ١٩١٩، واختير أساتذته من أساطين الأطباء آنذاك، وتشاء المصادفة أن يكون جلّهم ممن درسوا الطبّ باللغة التركية، وكان عليهم جميعًا أن ينفِّذوا رغبة وطنية ومشيئة القومية العربية التي تلزمهم تعليم الطبّ بلغة أهل البلاد، فشمّروا عن ساعد الجدّ، ونبشوا بطون الكتب القديمة، ونفذوا إلى صميم المعاجم المختلفة، وأخذوا يضعون المصطلحات للطب»[(١)].

وأصدر المعهد الطبيّ «مجلّة المعهد الطبيّ العربيّ» فحملت اللغة العربيّة في تلك المجلّة علوم الصحّة والطبّ، ووصلت بين ماضي التراث العربيّ وحاضره، وكانت تُطلع الأطباء العرب على الآراء الطبيّة التي ينشرها زملاؤهم، وتضع العلم في أيدي الراغبين من القرّاء بلغة عربيّة سهلة واضحة. وقد صدر من المجلة واحد وعشرون مجلدًا بين سنتي ١٩٢٤ و١٩٤٧، وشارك في الكتابة فيها وفي نشر الكتب العلمية عدد من الأطباء والعلماء مثل مرشد خاطر، وأحمد منيف العائدي، وأحمد حمدي الخيّاط، وعيسى اسكندر المعلوف، وصلاح الدين الكواكبي، وجميل الخاني، وعبد الوهاب القنواتي، وشوكة الشطي.

وبذلك كان المعهد الطبيّ العربيّ قرينًا للمجمع العلمي العربي، في خدمة اللغة العربيّة، علمًا ولغة وتعليمًا وتعريبًا ووضعًا للمصطلحات، ونشرًا للوعي العلمي العربي في اللغة والطبّ.

واستمرّ التعاون بين أعضاء المجمع وأساتذة الجامعة في معهدي الحقوق والطب في التعريب ووضع المصطلحات، وما تزال كتب الجامعات السورية إلى اليوم شاهدة على ما تمّ في هذا الميدان.

---

(١) من محاضرة ألقاها د. مريدن في دار الحكمة بالقاهرة سنة ١٩٥٨. وانظر كتاب «اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي» لمازن المبارك ص٣٧.

واستمرّت صلة المجمع بالتعليم العالي، فحين أرادت الحكومة إنشاء كلية أو مدرسة عليا للآداب «لنشر اللغة الفصحى والآداب العربية» كما جاء في إعلانها، تطوّع أعضاء المجمع فوضعوا مشروعًا ونفَّذوه، يقوم على إلقاء أعضاء المجمع دروسًا قبل افتتاح الكلية بثلاثة أشهر، ليهيِّئوا الطلاب للدخول إليها.

وكان المجمعيّون يُلقون محاضرات في النحو والصرف والآداب العربية على الطلّاب. واسمع الأستاذ كرد علي يتحدّث عن ذلك فيقول «إن المجمع كان يُعدّهم لإتقان الكتابة والخطابة، والتأليف والترجمة، لتعاطي الأمور العلمية، وإدارة الأعمال على النظام الغربي، فيكونون مُهيَّئين لتولّي مناصب التعليم، وللإدارة في المدارس ودواوين الحكومة، وفي المسالك الحرّة، ولاسيّما الصحافة والتمثيل»(١).

وتُفتتح كلية أو مدرسة الأدب العليا بعد عامٍ من عملٍ مجمعيّ طَوعي دؤوب في سنة ١٩٢٤، ولا تجد مَن يدرّس العربيّة فيها غيرَ المجمعيّين؛ فكان فيها شفيق جبري وعبد القادر المبارك وسليم الجندي وعبد القادر المغربي(٢).

وكانت (مدرسة الأدب العليا) في (الجامعة السورية) هي نواة (كلية الآداب) في الجامعة السورية التي اكتملت كليّاتها سنة ١٩٤٦ ثم أصبح اسمها (جامعة دمشق). وبقي مديرُ مدرسة الأدب العليا المجمعيّ الأستاذ شفيق جبري عميدًا لكلية الآداب في جامعة دمشق.

ولعلّنا إذا عرفنا أولئك الذين درسوا في مدرسة الأدب العليا، استطعنا إدراك ما قامت به تلك المدرسة من رفد الحياة الثقافية والأدبية والإدارية في سورية من رجال حملوا رسالة التثقيف والتربية والتعليم والإدارة. لقد كانت

---

(١) أعمال المجمع. التقرير ٤/ ١١.

(٢) انظر الصورة في الملحق ص١٥٦-١٥٩، وفيها (أساتذة ومجازو مدرسة الأدب العليا سنة ١٣٥٠هـ و١٩٣٢م و ١٩٣٣م).

قائمة أسماء المجازين الذين حملوا شهادة تلك المدرسة وتخرّجوا في الأدب سنة ١٣٥٠هـ و١٩٣٢م تضمّ السيّدات والسادة(١):

١- أديبة فارس
٢- منيرة علي المحايري
٣- مليحة سعيد
٤- محمد علي السرّاج
٥- منير الريّس
٦- حلمي اللحام
٧- زكي المحاسني
٨- مصطفى الصوّاف
٩- أنور العطار
١٠- عبد الرزاق الباجقني
١١- عثمان الشقفي
١٢- بهاء الدين عيسى
١٣- إبراهيم برصا
١٤- محمود شحادة
١٥- وديع شحيّد
١٦- جميل سلطان
١٧- عبد الغني الباجقني
١٨- عمر شخاشيرو
١٩- أنور سلطان
٢٠- محمد الجيرودي
٢١- محمد سعيد الأفغاني
٢٢- محي الدين القضماني
٢٣- عبد الرحمن التكريتي
٢٤- أنطون موسى

وكانت أسماء المجازين في سنة ١٩٣٣ من مدرسة الأدب العليا تضمّ كلًّا من السيدات والسادة(٢):

خديجة أورفلي . دمشق
فاطمة مراد . دمشق
الشيخ مصطفى الزرقا . حلب
عبد الرؤوف الأمين . جبل عامل
الشيخ زين العابدين (التونسي)
عبد العزيز الحمصي . دمشق

---

(١) انظر الصورة في الملحق ص ١٥٦.

(٢) انظر الصورة في ص ١٥٨.

محمد علي الجبّان	. دمشق	عثمان حوراني	. حماه
داود صليبا	. قرعون-البقاع	رمزي الركابي	. دمشق
جودة الخوّام	. دمشق	عبد الرزاق المنجد	. دمشق
محمد ياسين الحموي	. حماه	شفيق المالح	. دمشق
سعيد الحافظ	. دمشق	منصور قدارو	. طرابلس الغرب
محمد علي علايا	. دمشق	أحمد مزيان	. تلمسان-الجزائر
ليان ديراني	. دمشق		

المجمع والظاهرية وإحياء التراث

لم يكتف المجمع بإصدار مجلة تذيع أخباره، وتنشر إنتاج أعضائه وآراءهم وتحقيقاتهم العلمية، بل اتّجه إلى إحياء التراث ونشره، وكان الشيخ طاهر الجزائري والأستاذ كرد علي من أنشط العاملين على اختيار ما ينبغي نشره من نفائس التراث. وكانا يقترحان على أعضاء المجمع، وعلى النابهين من المثقّفين أسماء الكتب التي يريان ضرورة تحقيقها ونشرها.

وأخرج المجمع عددًا من نوادر الكتب التراثية، كقانون البلاغة للبغدادي، والأزمنة لقطرب، وراح يحثّ المثقّفين على تحقيق الكتب التراثية، والاهتمام بلغة العرب وتاريخهم وحضارتهم.

وكان كتاب نشوار المحاضرة (جامع التواريخ) للقاضي أبي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق مرغوليوت أول الكتب التي أصدرها عام ١٩٣٠.

ثم توالت إصداراته، وكان منها «رسالة التبصّر بالتجارة» للجاحظ بتحقيق العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب سنة ١٩٣٢.

و«المنتقى من أخبار الأصمعي» للمقدسي، اختيار الربعي، بتحقيق عز الدين التنوخي سنة ١٩٣٥. كما أصدر للمحقّق نفسه سنة ١٩٣٦ كتاب «إصلاح ما تغلط به العامّة» للجواليقي، وفي سنة ١٩٣٧ «بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام» لابن الحنبلي. ونشر في العام نفسه ديوان الوليد بن يزيد، للمستشرق غبرييلي وتقديم خليل مردم بك.

ومن أشهر ما أصدره بعد ذلك «رسالة الملائكة للمعرّي»، و«تاريخ حكماء الإسلام» للبيهقي، وعدد من دواوين الشعراء.

وكان من أشهر مطبوعات المجمع بعد ذلك «صحيفة همّام بن منبّه» المتوفَّى سنة ١٣١هـ لمحمد حميد الله، وهي أقدم نصّ حديثي.

وعدد من المعجمات الفقهية والأثرية والحراجية ومصطلحات الفنون.

ولا يخفى أن مفخرة المجمع تبقى في توفّره على إصدار طبعة محقّقة لتاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر، الذي أصدر مجلدته الأولى سنة ١٩٥١م بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد. وهو الكتاب الذي قارب المجمع اليوم إنجاز آخر مجلّداته.

ولو تابعت ذكر أسماء الكتب التي أصدرها المجمع حتى اليوم، ما بين محقَّق تراثي ومؤلَّف في اللغة والشعر والتاريخ وغيره، لما وسعتها خمسون من الصفحات..

وكانت للمجمعيين الأوائل عناية خاصة بالكتب والمكتبات؛ أما المكتبات فكانوا، وخاصة الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي والشيخ سليم البخاري، يعملون على تأسيس المكتبات، وتشجيع القرّاء والشباب على ارتيادها، وأما الكتب فكانوا يجمعونها بكل الوسائل؛ استهداءً وشراءً، ويزوّدون بها المكتبات. ويرشدون المثقّفين إلى الاطلاع عليها، ويوجّهون القادرين منهم إلى تحقيقها ونشرها. وقد كان

لهم فضل كبير في إنشاء المكتبة الظاهرية، فلقد عرفت من قبل باسم «المدرسة الظاهرية»، وهي التي بناها الظاهر بيبرس لتكون مدرسة ودار حديث، ومدفنًا له، ثم جعلت مكتبة بمساعٍ بذلها الشيخ طاهر الجزائري والشيخ سليم البخاري وعدد من علماء دمشق، وكانت أول أمرها ملحقة بوزارة الأوقاف، لأن كتبها موقوفة من أصحابها على النفع العام، ثم ألحقت بتاريخ ١٩/ ٢/ ١٩١٩ بديوان المعارف، ولما تمّ إنشاء المجمع وانفصل عن ديوان المعارف في ٨/ ٦/ ١٩١٩ ألحقت المكتبة بالمجمع، ووضع لها المجمع نظامها الداخلي. ومازالت إلى اليوم تابعة لمجمع اللغة العربيّة.

وكان أول مدير لها الشيخ سعيد الكرمي، عضو المجمع، ثم تلاه الشيخ سليم البخاري، ثم الشيخ طاهر الجزائري الذي كُلِّف إدارتها والإشراف عليها بعد عودته من القاهرة.

ويبذل الشيخ طاهر الجزائري والأستاذ كرد علي جهودًا جبارة لتزويدها بالكتب، لقد كان مجموع ما فيها من كتب قبل إلحاقها بالمجمع نحوًا من أربعة آلاف كتاب، ما بين مطبوع ومخطوط، وبلغ عدد كتبها بعد إلحاقها بالمجمع بتسع سنوات ما زاد على ثلاثة عشر ألف كتاب.

وبذل المجمعيون جهودهم في شراء الكتب واستهدائها من العلماء والمستشرقين والجامعات الغربيّة، فاجتمعت في الظاهرية المكتبات المبعثَرة في مساجد دمشق وزواياها، والمكتباتُ الخاصة كمكتبة الشيخ طاهر الجزائري، ومكتبة آل المرادي، ومكتبة آل الحَسيبي، ومكتبة آل القوَّتلي، وآل حمزة، وآل السَّقطي. ووصلت إليها هدايا الكتب النفيسة من مخطوطة ومطبوعة، من أحمد تيمور باشا، والأمير أحمد مختار الجزائري، والأمير طاهر الجزائري (وهو غير الشيخ طاهر. إنه والد الأمير جعفر الحسني الجزائري الذي كان عضوًا ثم أمينًا لمجمع دمشق).

أهدى أحمد تيمور نسخة خطيّة نفيسة من كتاب «سرّ الصناعة» لابن جنّي.

وستة عشر كتابًا علميًّا مطبوعًا في الكيمياء ومبادئ الطبيعة.

وأهدى الأمير مختار الجزائري واحدًا وعشرين كتابًا مخطوطًا.

وأهدى الأمير طاهر الجزائري نسخة جدّه الأمير عبد القادر المخطوطة من كتاب «تحقيق الظنون في الشروح والمتون».

وأصبحت المكتبة الظاهرية غنيّة بأنواع الكتب من مخطوطة ومطبوعة، وبموضوعاتها المختلفة من فقهيّة وحديثيّة ولغوية وأدبية وعلميّة.

محاضرات المجمع

اهتمّ المجمع اهتمامًا خاصًّا بالمحاضرات، ففتح أبوابه لها منذ سنواته الأولى، ورأى فيها وسيلةً لنشر الوعي، وتثقيف الناس، ومنبرًا للتهذيب والإصلاح، ودعوةً تلفت الناس إليه وتشدّهم إلى ما يدعو إليه من ثقافة لغوية وأدبية وتاريخية واجتماعية. وكان للمجمع في ذلك برنامج ذكيٌّ، يُعلن عن المحاضرة قبل أسبوعين من موعدها، ويحدّد لكلٍّ من الرجال والنساء موعدَه، وينوّع في موضوعات محاضراته؛ فيتحدث متري قندلفت عن إحياء اللغة العربية، ويتحدّث الدكتور مرشد خاطر عن الحمَّى المرزغية وكيفيّةِ الوقاية منها. ويحاضر الشيخ سعيد الكرمي عمّا يكون به انتظام المجتمع الإنساني. وأما الشيخ عبد الرحمن سلام فيتحدّث عن الشعر وتأثيره في الأخلاق، ويتحدّث عبد القادر المبارك عن لغة المتنبّي، وأنيس سلّوم عن العِلم، وعارف النكدي عن القضاء في الإسلام، وسعيد مراد عن الحقوق المدنية في الشرق. وأما محمد كرد علي وعبد القادر المغربي فيلقي كل منهما عددًا كبيرًا جدًّا في موضوعات تراثية وأدبيّة واجتماعية. ويشارك أعضاء المجمع كلّهم في المحاضرات حتى

يقارب عدد المحاضرات في سنتين عدد أسابيع السّنتين.

ويحسن أن نعرض أمثلة من أسماء المحاضرين، وموضوعات محاضراتهم التي ألقَوْها في المجمع، لنرى ما فيها من تنوّع، ومدى ما روعيت فيها حاجة المجتمع في ذلك العصر إلى موضوعاتها، ولنرى بعد ذلك تنوّع المحاضرين رجالًا ونساءً، وتنوّع ثقافاتهم واختصاصاتهم، وانتماءاتهم:

إحياء اللغة العربية	متري قندلفت	١٧/ ٤/ ١٩٢١
الملاريا وكيفية الوقاية منها	د. مرشد خاطر	١/ ٧/ ١٩٢١
الشعر وتأثيره في الأخلاق	الشيخ عبد الرحمن سلام	١٤/ ٧/ ١٩٢١
القضاء في الإسلام	عارف النكدي	٢٤/ ٧/ ١٩٢١
العمل بالعلم	أنيس سلوم	٢٤/ ١٠/ ١٩٢١
صناعة الإنشاء العربي	سعيد الكرمي	١/ ١٢/ ١٩٢١
الأخلاق والاجتماع	عبد القادر المبارك	٦/ ١٠/ ١٩٢٢
الأخلاق والحقوق الدولية	فوزي الغزي	٢٣/ ١١/ ١٩٢٢
أصول الاتحاد	فارس الخوري	٢٧/ ١١/ ١٩٢٢
المرأة في أدوارها التاريخية	سعيد مراد الغزي	١/ ١٢/ ١٩٢٢
تاريخ الطبّ عند العرب	د. أسعد الحكيم	٣٠/ ٣/ ١٩٢٣
سكان الشام ولغاتهم	محمد كرد علي	٣/ ٥/ ١٩٢٣
الحريّة الشخصية	إحسان الشريف	٥/ ١٠/ ١٩٢٣
الأولاد وتربيتهم (للنساء)	عبد القادر المغربي	١١/ ١/ ١٩٢٤
واجبات المرأة في الهيئة الاجتماعية (للنساء)	الشيخ أحمد النويلاتي	٢٢/ ٢/ ١٩٢٤
تسامح الإسلام (للسيدات)	الشيخ أحمد النويلاتي	٢١/ ٣/ ١٩٢٤

الطفل وتربيته (للسيدات)	السيدة مسرة الإدلبي	٢٣/ ٥/ ١٩٢٤
تاريخ الزراعة في العالم العربي	مصطفى الشهابي	١٧/ ١٢/ ١٩٢٦
كيف يستفاد من التاريخ	محمد كرد علي	٩/ ١٢/ ١٩٢٧
بين الشرق والغرب	محمد كرد علي	٢٦/ ١٠/ ١٩٢٨
أمم تسود وأمم تبيد	نقولا حداد	١٠/ ٦/ ١٩٢٩
مضار المسكرات النفسية والاجتماعية	د. أسعد الحكيم	٢١/ ٣/ ١٩٣٠
اللغة العربية وذخائرها	خليل مطران	١٨/ ٩/ ١٩٣٠

وكان من المحاضرين في المجمع: د. شارل- فيليب بركات- حليم دموس- أديب وهبة- حنا خباز- شاكر الحنبلي- جميل صدقي الزهاوي- محمد سليمان الأحمد- محجوب ثابت- السيدة روز شحفة- السيدة سارة الخطيب- د. أحمد عيسى- جميل بيهم- فخري البارودي- د. يوسف عرقتنجي- السيدة عزيزة الحشيمي- نجيب الأرمنازي- أحمد حسن الزيات- الآنسة فلك الطرزي- السيدة منيرة علي المحايري- د. فريد الخاني- السيدة وداد سكاكيني- جمال الفرا- الآنسة مقبولة الشلق- د. شوكة الشطي- د. فؤاد شباط- السيدة ثريا الحافظ- الآنسة فلك دياب- الآنسة جهان الموصلي- الآنسة عفيفة الحصني- د. صلاح المنجد- هنري لا ووست- د. عزة مريدن- السيدة قمر قزعون شورى- د. أحمد السمّان- لويس ما سينيون- الشيخ مصطفى الزرقا- السيدة نديمة المنقاري.

ويلاحظ ما في هذه القائمة من تنوّع المحاضرين والمحاضِرات، ما بين رجل وامرأة، وسوريّ وعربيّ، وعربيّ ومستشرق، وتنوّع محاضراتهم من حيث موضوعاتها، ما بين أدبية ولغوية واجتماعية وتربوية وتاريخية وثقافية عامّة.

وبذلك استطاع المجمع أن يشدّ إليه جمهورًا واسعًا من جميع الطبقات الاجتماعية.

وجمع المجمع المحاضرات التي ألقيت، وأصدر الجزء الأول منها في عام ١٩٢٥ بعنوان «محاضرات المجمع العلمي العربي- الجزء الأول».

المجمع وتشجيع النابغين

وشارك المجمع في تشجيع الأبناء والطلّاب النابهين وتكريمهم.

ولست أنسى ما حدّثني به أستاذي زكي المحاسني حين أعطاني نسخة من قصيدته في رثاء والدي، قائلًا لي: «أرجو أن يُمدَّ بعمري لأكتب كتابًا عن تاريخ حياة والدكَ. فقد كان أستاذي في مكتب عنبر، ولست أنسى تشجيعه لنا – نحن الشعراء الشباب- يوم عرضنا عليه بعض أشعارنا وأعجبته، وأقنع الأستاذ كرد علي أن يقيم لنا حفلة تكريم في المجمع، وأقامها المجمع، وشارك فيها معي جميل سلطان، وأنور العطار، وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، وكانت حافزًا لنا على الاستمرار في نظم الشعر، وكانت بابًا لشهرتنا الأدبيّة في البلد. »

ولقد أقيمت حفلة تكريم أولئك الشعراء الشباب في المجمع بتاريخ الرابع من شهر تشرين الثاني عام ١٩٢٧، ونشر المجمع وصفًا لها في مجلّته[١] كما نشر بعض ما ألقاه أولئك الشعراء الشباب في ذلك اليوم.

انفتاح المجمع على الوطن العربي

١- دعوة الأدباء العرب وتكريمهم

لم يكتف المجمع بفتح نوافذه على مجتمعه الدمشقي والسّوري، ولم يَقصر نشاطه العربيّ التعريبيّ على قطر واحد، بل فتح أبوابه على الأقطار العربيّة كلِّها؛

(١) مجلة المجمع: المجلد ٨ ج ٢ ص١٠٨- ١١١ تحت عنوان «حفلة تنشيط».

ولم يكتفِ برسائله تَبلُغهم، ولا بمجلّته تحمل إليهم أخباره في التعريب وإحياء التراث، بل جعلهم يشاركونه نشاطًا عربيًّا تُقرأ أخباره في صحفهم. لقد كان المجمعيّون أذكياء في اصطياد المناسبات، فما زار دمشقَ ضيفٌ ذو مكانة في اختصاصه إلّا دعَوْه إلى منبرهم، ومَن لم يحضر دعَوْه هم وكرَّموه، ودعَوا الجمهور إلى لقائه.

فلقد دعَوا الشاعر الكبير أحمد شوقي سنة ١٩٢٥، وأقاموا له حفلة تكريم[١] حضرها عشرات المئات من علماء السوريين وكتّابهم وأعيانهم وطلّابهم، وتحدّث في تلك الحفلة رئيس المجمع الأستاذ كرد علي قارنًا تكريم مصر بتكريم شاعرها، وألقى شاعر الشام شفيق جبري قصيدة ترحيب، كما ألقى الأستاذ فارس الخوري كلمة معبّرة عن أخوّة القطرين، وألقيت قصيدة الأستاذ خليل مردم بك. وختم الاحتفال بقصيدة لشوقي، ألقاها عنه الأستاذ نجيب الريِّس، وهي التي يقول في مطلعها:

قِفْ ناجِ جلَّق وانشُدْ رسمَ مَن بانوا مشتْ على الرسْم أحداثٌ وأزمان

وغادر شوقي دمشق بعد أن حرّك المجمعُ المجتمعَ وفتّح وعيه على الأخوّة العربيّة مع إخوانه عرب مصر.

وأقام المجمع في سنة ١٩٢٩ حفلًا تكريميًّا آخر دعا إليه الشاعر المصري (حافظ إبراهيم) الذي كان في زيارة لبيروت، فاغتنم المجمع الفرصة ودعاه إلى دمشق. وكان الاحتفال في شهر حزيران وغصّ المجمع بمن حضر من المدعوّين، وكان في مقدمتهم رئيس الوزراء تاج الدين الحسني، وعدد من الوزراء.. وطوائف من أدباء سورية وفضليات السيّدات.

---

(١) نشرت أخبار الحفل في مجلة مجمع دمشق. المجلد ٥ ج ٨ و٩ ص٣٨٨.

وحضر مع الشاعر صديقه الشاعر خليل مطران، وعلّق رئيس الوزراء السوري على صدر كلٍّ من الشاعرين وسام الاستحقاق السوريّ في جوّ مفعم بالحبّ والمودّة، وألقى رئيس المجمع، وزير المعارف، الأستاذ كرد علي كلمة ترحيب وشكر للشاعر حافظ إبراهيم لنبل شعوره نحو دمشق. وألقى الأستاذ فارس الخوري قصيدة تحيّة وتكريم، كما ألقى الشاعر شفيق جبري قصيدة ترحيبيّة، وانتهى الحفل بكلمة موجزة للأستاذ خليل مطران، وببيتين للشاعر حافظ إبراهيم قال فيهما:

شَكرتُ جميلَ صُنعكمُ بدمعي ... ودمعُ العينِ مِقياسُ الشعورِ

لأوَّلِ مرّةٍ قد ذاق جفني ... على ما ذاقه دمع السرور[1]

وأقام المجمع أيضًا حفلًا تكريميًّا في سنة ١٩٣٣ للشاعر المصري محمد الهراوي، وكان معروفًا بنشاطه واهتمامه بأدب الأطفال والتأليف لهم، ووضعِ ما يلائم أذواقهم وعقولهم من مسرحيّات، وأناشيد.

وقد شارك في الحديث الترحيبي كل من الشيخ عبد القادر المغربي، وعز الدين التنوخي، ومصطفى الشهابي، ومنير العجلاني. وردّ المحتفى به بكلمة جامعة عبّر فيها عن الحبّ المتبادل والتاريخ المشترك بين القطرين العربيّين الشقيقين، مصر والشام[2].

٢- تأبين المجمع لأدباء العرب:

وكما أقام المجمع احتفالات التكريم، أقام احتفالات التأبين للراحلين من رجالات العرب وأدبائهم. ولم يكن يَقصر دعوته على الجمهور المحلّي وإنما كان

(١) نشرت مجلة مجمع دمشق أخبار الاحتفاء بالأديبين حافظ ومطران في المجلّد ٩ ج ٦ ص٣٦٣.

(٢) مجلة مجمع دمشق. المجلد ١٣ ج ٩ و١٠ ص ٤٣٨.

يدعو الوفود من كلّ البلاد العربيّة لمشاركته في احتفالاته.

وكانت دعوته لتأبين الشيخ طاهر الجزائري بمناسبة مرور عام على رحيله أول مناسبة عامّة أقامها المجمع عام ١٩٢٠، وشاركت فيها أعداد كثيرة من رجالات البلاد وعلمائها وأدبائها وطلّابها، وتحدّث فيها بعد انطلاق الموكب من المجمع بباب البريد إلى دار الحكومة حيث حيّاهم حاكم دمشق حقيّ العظم، ثم انطلقوا إلى حيث دفن الشيخ طاهر في سفح قاسيون، فقرئ القرآن، وألقيت كلمات سعيد الكرمي وأنيس سلوم.. وأشعار من نظم الشيخ عبد الرحمن سلام. واهتزّت دمشق لهذا الموكب المهيب(١).

وأقام المجمع في سنة ١٩٢٣ حفلًا تأبينيًّا للعالم الأثري واللغوي أحمد كمال باشا المصري، عضو المجمع المراسل، تحدث فيه رئيس المجمع الأستاذ كرد علي، وعيسى اسكندر المعلوف، وشارك فيها قارئا القرآن الشيخ عبد الله المنجد من دمشق، والأستاذ عبد الله العفيفي من مصر.

وأقام المجمع في سنة ١٩٢٤ حفلًا تأبينيًّا لاثنين من أعضائه المراسلين، أحدهما من مصر، وهو الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي، والآخر من العراق، وهو العلّامة محمود شكري الألوسي. وألقى فيها رئيس المجمع كلمته، ثم أُلقيت كلمتا الأب الكرملي والأستاذ بهجة الأثري بالنيابة عنهما، وألقى عز الدين التنوخي قصيدة في رثاء الألوسي، وألقى عبد القادر المغربي كلمة تأبين للمنفلوطي. وألقيت كلمة أرسلها سعيد الكرمي، ثم ألقى كل من الشاعرين شفيق جبري وبدوي الجبل قصيدة في هذه المناسبة الأليمة(٢).

---

(١) نشرت أخبار تأبين الشيخ طاهر في مجلة المجمع. المجلد ١ ج١ ص٥٤.

(٢) مجلة المجمع. المجلد ٣ ج ١٠ ص ٢٩٤.

وفي تشرين الأول من عام ١٩٣٢ أقام المجمع حفلًا تأبينيًّا للشاعر حافظ إبراهيم[١] برعاية حقي العظم الذي ألقى كلمة مناسبة ثم ألقى كلمة كل من الأستاذ فارس الخوري فالأستاذ كرد علي فالشيخ عبد القادر المغربي فالشاعر الأستاذ شفيق جبري، وأنهى الحفل قنصل مصر بدمشق. وكان جوّ الاحتفال جوًّا مشحونًا بالعواطف نحو اللغة العربية ونحو شاعرها وشاعر النيل حافظ إبراهيم.

ولم يمض شهران حتى أقام المجمع في السنة نفسها (سنة ١٩٣٢) حفلًا تأبينيًّا آخر للشاعر الكبير أحمد شوقي تحت رعاية رئيس الجمهورية السورية محمد علي العابد شهده مع بعض الوزراء، كما حضره عدد كبير من أعيان دمشق ورجال البلاد ونسائها، وتحدّث في الحفل كل من الأساتذة محمد كرد علي، وفارس الخوري، وعز الدين التنوخي، وأسعد الحكيم، ومصطفى الشهابي. كما ألقيت قصائد خليل مردم وشفيق جبري ثم كانت كلمة الختام لرئيس الدولة محمد علي العابد، ألقاها عنه مدير مكتبه نجيب الأرمنازي. وانتهى الحفل بكلمة شكر للقنصل المصري بدمشق.

ولعل الحفل التأبيني الذي أقامه المجمع على مدرج الجامعة السورية بدمشق[٢] في عام ١٩٣٥ للفقيد السيد محمد رشيد رضا[٣]، يلقي الضوء على نشاط المجمع المستمر، وعلى امتداد نشاطه إلى بلدان الوطن العربي، ودعوة

---

(١) نشرت أخبار الحفل في مجلة المجمع. المجلد ١٢ ج ١١و١٢ ص ٧٣٥.

(٢) نشرت أخباره في مجلة المجمع. المجلد ١٣ ج ٩ و١٠ ص٤٤٢.

(٣) عالم بغدادي الأصل، عاش في لبنان والشام ومصر، وزار الحجاز والهند وأوربا، اتّصل بالشيخ محمد عبده وأخذ عنه، وأصدر مجلّة (المنار). كان من رجال الإصلاح الديني. كان في عهد فيصل رئيسًا للمؤتمر السوري، وحين دخل الفرنسيون دمشق رحل إلى مصر، وتوفي فيها. له كتب في التفسير والتاريخ. وللأمير شكيب أرسلان كتاب عنه، عنوانه «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة».

علمائه للمشاركة في أنشطته؛ فقد شارك في حفل تأبين الأستاذ رشيد رضا علماء دمشقيّون هم المجمعيّون عبد القادر المغربي، وشفيق جبري، وعز الدين التنوخي، وشكيب أرسلان، والشيخ بهجة البيطار، وظافر القاسمي، وعلماء آخرون، كان منهم شيخ الجامع الأزهر، والشيخ مصطفى الغلاييني قاضي بيروت، وعمر المحمصاني من بيروت، وبهجة الأثري من بغداد.

وهكذا كانت الجماهير العربيّة السوريّة تشارك في أفراح التكريم، وأحزان التأبين، وكأنها أفراحها وأحزانها، ويشارك معها في كثير من المناسبات حكّام الدولة كمحمد علي العابد، والشيخ تاج الدين الحسني، وشكري القوّتلي. ويكون لمجمع اللغة العربية بدمشق الفضل الأوّل واليد الطولى في ذلك النشاط العربي المشترك، الذي يجمع شعوب البلاد العربية على ما يوحّدها في الأفراح والأحزان.

٣- المجمع والمهرجانات الأدبية:

ورأى المجمع أن تكون دائرة نشاطه الثقافي والعربيّ أوسع رقعة وأعمّ نفعًا، وأن يكون أثره العربيّ أبعد وأشمل، فتوجّه نحو التراث العربي المشترك يحيى مناسَباته وذكرى أعلامه، ويدعو العرب إلى المشاركة في إحياء تلك الذكريات، ووقع اختياره على أبي الطيّب المتنبي، وعزم على إقامة مهرجان بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته (في سنة ١٩٣٦)..

وكانت الحكومة عازمة على إقامة معرض صناعي في دمشق في تلك السنة، فاغتنم الفرصة وجمع بين المناسبتين في وقت واحد، وأقام مهرجانه في وقت معرضها، ودعا إلى المهرجان وفودًا من البلاد العربية والإسلامية، ومن بعض البلاد الشرقية والغربيّة. واستمرّ المهرجان أسبوعًا، بدءًا من يوم الخميس في ٢٣ من تموز إلى يوم الأربعاء في ٢٧ منه (سنة ١٩٣٦م).

افتُتِح المهرجان بعشر من القرآن الكريم[1]، ثم ألقى المفوّض السامي الفرنسي كلمة، وتلاه رئيس الدولة (عطا الأيوبي) بكلمة ألقاها عنه وزير المعارف. ثم ألقى المستشرق السويدي (زنرستن) كلمة المستشرقين، وتتابع بعده كل من الشاعر الفارسي خسرو داراني الذي ألقى كلمته بعد أن عرّبها أبو عبد الله الزنجاني، وألقاها عنه مصطفى الطباطبائي، أستاذ الفارسية في الجامعة الأمريكية ببيروت.

وألقى بعده الأستاذ أحمد أمين كلمة باسم الجامعة المصريّة، وانتهت الجلسة بتلاوة اقتراح قدّمه عبد المنعم رياض بتخصيص جائزة على نحو جائزة نوبل، تسمى جائزة المتنبي.

وأما جلسة يوم الجمعة في ٢٤ تموز فقد جعلت صباحية ومسائية:

في الصباح ألقى محافظ دمشق توفيق الحيّاني كلمة، دعا الوفود والجمهور إلى المشاركة في افتتاح الشارع الذي أطلق عليه اسم «شارع المتنبي».

وفي المساء ألقيت الكلمات الآتية:

- كلمة أنيس الخوري المقدسي، باسم الجامعة الأمريكية.
- كلمة عبد الرحمن الشهبندر، ألقاها عنه ابن أخته صلاح المحايري.
- قصيدة خليل مردم بك، ألقاها عنه ابنه عدنان مردم.
- كلمة عبد الوهاب عزّام.
- كلمة نجيب الأرمنازي.

---

(١) كان القارئ هو الشيخ أحمد زرّوق. وليس (رزّوق) كما ذكر. والشيخ زروق (الزّاي قبل الراء) رجل صالح جميل الصوت والصورة. أتقن التجويد كما أتقن الإنشاد والألحان. وقد عرفته، وكنت ألقاه أسبوعيًا لسنوات كثيرة.

وكانت جلسة يوم السبت في ٢٥ تموز الجلسة الثالثة من جلسات المهرجان جلسة مسائية، ألقيت فيها الكلمات الآتية:

- كلمة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، باسم الجامع الأزهر.
- كلمة معروف الرصافي، من القطر العراقي.
- قصيدة الشيخ رضا الشبيبي، ألقاها نيابة عنه ابنه حسين الشبيبي.
- قصيدة علي الشريقي، من العراق، وعنوانها «صوت الكوفة»
- كلمة طه الراوي.
- قصيدة عز الدين التنوخي، بعنوان «صوت دمشق».

وألقيت في مساء يوم الأحد ٢٦ تموز كلمات الجلسة الرابعة وضمّت:

- كلمة نقولا فيّاض، مندوب لبنان.
- كلمة أمين الريحاني، بعنوان «المتنبي رسول العروبة»
- كلمة فؤاد أفرام البستاني، مندوب الجامعة اليسوعية.
- قصيدة حليم دمّوس.
- كلمة سامي الكيّالي.

وفي اليوم الخامس، الاثنين ٢٧ تموز، الساعة الخامسة مساءً ألقيت الكلمات الآتية:

- كلمة أحمد رضا.
- قصيدة سليمان ظاهر.
- كلمة حبيب شمّاس، مندوب المدرسة البطركية.
- كلمة الأستاذ أديب التَّقي
- قصيدة باقر الشبيبي. ألقاها عنه شقيقة حسين الشبيبي

وفي اليوم السادس، الثلاثاء ٢٨ تموز، ألقيت مساءً الكلمات الآتية:

- كلمة خليل الخالدي
- ترجمة كلمة المستشرق السويدي (زنرستن)
- كلمة عبد القادر المبارك
- قصيدة محمد البزم

وفي يوم الأربعاء ٢٩ تموز، آخر أيام المهرجان، ألقيت مساءً الكلمات الآتية:

- كلمة فائز الخوري، باسم الجامعة السورية (جامعة دمشق)
- كلمة سليم الجندي.
- قصيدة عمر أبي ريشة.
- كلمة جميل صليبا.
- كلمة محمد إسعاف النشاشيبي.

وبذلك انتهى أسبوع المهرجان الألفي، الذي قام بأعبائه والإعداد له أربعة عشر عضوًا من أعضاء المجمع، عملوا وخطَّطوا، وساعدهم في التنفيذ عشرة من رجال الأدب والثقافة وكانوا عماد اللجنة التنظيميّة للمهرجان..

وكانت لهذا المهرجان آثار حميدة بقيت أصداؤها تتردّد في صحف البلاد العربيّة ومجلّاتها زمانًا طويلًا بعد انقضاء أيّامه[1]. وكانت لبعض الموضوعات التي ألقيت أثرٌ بعيد في الجوّ السياسي والاجتماعي في البلاد العربية التي كانت ما تزال ترزح تحت نير الاستعمار، وخاصة تلك الموضوعات التي تتّصل بالعروبة وأواصرها، وبإباء النفس العربيّة وكرامتها وحبّها للتحرّر والانعتاق

---

(١) نشرت مجلة المجمع بدمشق أخبار المهرجان في المجلّدين ١٣ و١٤ ج ٥ و٦ ص٢٩٧ كما نشرت كتابًا خاصًّا باسم مهرجان المتنبي.

من كل عبوديّة أو استعباد، مما كانت نفس المتنبي تمثّله وتُعلي شأنه... فهو شاعر العرب والعروبة وفُصحاها، يعشق الحريّة، ويمجِّد الكرامة، ويكره اللَّحن ولا يقدر عليه، ولا يطاوعه به لسانه. ولقد سمع الناس في جلسات ذلك المهرجان كثيرًا عن «المتنبي والفتوَّة العربيّة» وعن «لغة المتنبي» وعن «المتنبي شاعر نهضتنا القومية العربيّة» وعن «المتنبي رسول العروبة» وغيرها.

المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري

وهو المناسبة الثانية التي أحسن المجمع استثمارها، وسخرها وسيلة للدعوة إلى كل ما يريد، ولنشر الأفكار التي آمن بها، وصرف جهوده لإحيائها. ورأى أنه في سنة ١٣٦٣هـ يكون قد مرّ على ولادة المعرّي ألف سنة، فأقام احتفاله بهذه المناسبة.

وكان المهرجان أسبوعًا (من ٨ شوال سنة ١٣٦٣= ٢٥ أيلول سنة ١٩٤٤) ما عرفت دمشق ولا سورية أسبوعًا مثله في حياتها الحديثة، يجمع المدن السورية، والأقطار العربية، على ثقافة واحدة، ودعوة إلى العروبة وتراثها، وإلى الأمّة ووحدتها، وإلى الإصلاح وسبله. لقد جعل المجمع أسبوع المهرجان أسبوعًا عربيًّا بحقّ، يشارك فيه الشرق والغرب، وتشمل وقائعه وأحداثه المدن السورية والأقطار العربيّة ممثَّلة بمندوبيها وخطبائها وشعرائها.

وجدير بي قبل أن أمضي مع أحداث المهرجان، وأسرد وقائعه أن أذكّر ثانية في هذا المقام أن هذا الكتاب الذي أصف فيه هذه الأحداث الأدبيّة والإنجازات المجمعيّة إنما كانت نواته محاضرة ألقيتها في مجمع اللغة العربية بدمشق في ندوة عنوانها «أضواء على الآراء الإصلاحية للمجمعيين الأوائل» تناولت فيها جهودهم في التعريب والإصلاح.

وإن الرغبة في بقاء الكتاب تحت مظلّة تلك المحاضرة، ووجوب التزام المنهج الذي لا يسمح هنا أن أمضي مع المحتفلين بالمعرّي لأقف معهم عند أدبه وشعره، أو عند حياته ومعتقده، أو عند فلسفته وآرائه، أو غير ذلك مما يتصل بموضوعات المحاضرين وخطب الخطباء، وإنما يقتضي أن أقف عند حدود محاضرة الأمس[1] وكتاب اليوم، لأبيّن كيف استطاع المجمعيّون أن يسخّروا (المهرجان) ليكون ابن عصرهم في الدعوة إلى عروبة اللسان وتحرير الإنسان وحريّة الأوطان، والدعوة إلى الوحدة العربية الجامعة. ولقد كان كلّ ما تقدّم المهرجان من مقدِّمات، وكلُّ ما تركه من أصداء وآثار، يحكي للتاريخ كما يحكي لنا بعض جهود المجمعيّين، وبعض آرائهم ودعواتهم مما كانوا يتوجّهون إليه بجهودهم وأعمالهم، مما يتصل بالتعريب والإصلاح والوحدة والتحرير.

ولعلَّ خيرًا مما أقوله أو أصفه، أن أترك الذين قالوا بالأمس ليقولوا اليوم بأفواههم، وليكونوا شهودًا على عصرهم ناطقين بأنفسهم، مفصحين عن نيّاتهم، مبيِّنين أو دالّين بذلك على فضل الرجال إذ مهَّدوا لذلك وفسحوا له مجال القول من خلال المناسبات التي أحيَوْها وأحْيَوْا آراءهم معها.

فهذا مقطع من كلمة السيد رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي رحمه الله في حفل افتتاح المهرجان:

«أرحّب بفريق جليل من أعلام الأمة العربيّة، أُولِعوا بأدبها، ودرسوا تاريخها، وكشفوا القِناع عن آثارها ومفاخرها، فانضمّ بعضهم إلى بعض لإحياء ذكرى عبقريّةٍ من العبقريّات العربيّة، مضى عليها ألف سنة، ولكنها عاشت أجيالًا

(١) ألقيت المحاضرة في اليوم الأول من الندوة التي عقدها المجمع تحت عنوان «أضواء مجمعية على مجالات الإصلاح» في ١٤ و١٥ كانون الأول سنة ٢٠١٤م.

طوالًا، وستبقى أجيالًا طوالًا، هذه العبقرية العربية هي عبقرية حكيم لغويّ أخلى ذرعه للفكر، وحبس نفسه للعلم، فكان يجدّ ويدأب في استجلاء أسرار الإنسان، وإدراك كُنْه المجتمع، ويستنبط من حوادث الدهر الفلسفة والسياسة والأخلاق. وإنها لمصادفة سعيدة أن نجتمع في يوم واحد تهتف بنا غاية واحدة، وتحدونا دعوة واحدة، وهي إجلال التراث العربيّ، وإعلاء شأنه، ورفع مناره.»

وهذا مقطع ثانٍ من كلام رئيس الجمهورية في حفلة العشاء الوداعيّة التي أقامها للوفود في قصره:

«إن في مدينة معاوية، ومدينة خالد بن الوليد، ومدينة أبي الفداء، ومدينة الحمدانيين، وغيرها من المدن والقرى التي زرتموها لَفكرةً واحدة متغلغلة في النفوس، وهي أن هذه الأقطار لا تحبُّ سوى الحرية، ولا تفكر إلّا في العروبة والكرامة... وإذا عدتم أيها الإخوان إلى بلادكم فاذكروا أن هذه البلاد التي عانت من صروف الدهر وجور الزمان ما تعجز الأمم عن حمله، تريد الآن أن تحيا سيّدة عزيزة، حاكمة نفسها بنفسها، فخورة بماضيها وأمجادها وأنها تريد أن تبقى حرّة مستقلّة. ونحن اليوم على وشك تحقيق فكرة يلذّ لنا ترديدها، لأنها هدفنا، وغايتنا التي نسعى إليها جميعًا، وهي أنه لا حياة لبلادنا إلّا إذا اتّحدت الأمّة العربيّة بآمالها وآلامها وأهدافها. كما أنها ذات تاريخ، وتقاليد واحدة، فكذلك نريد أن تكون ذات ثقافة واحدة وسياسة واحدة، ولقد أدركنا في اجتماعكم هذه الوحدة الثقافية، كما بلغنا في الماضي الوحدة الأدبيّة. وستتّحد سياستنا بحول الله في اجتماعات الإسكندرية»[1].

---

(١) كان مندوبون عن الدول العربية يجتمعون في وقت المهرجان في مدينة الإسكندرية لدراسة فكرة الجامعة العربيّة.

وهذا مقطع من كلمة وزير المعارف، نصوحي البخاري، رحمه الله في حفل افتتاح المهرجان:

«... تنتظر الأمة منكم تعيين المناهج لوحدة الثقافة في الأقطار العربيّة، ووضع المصطلحات العلميّة والفنيّة، وإيجاد معاجم لها على اختلاف أنواعها، ورسم خطة رشيدة للأدب يمكن معها لجيلنا الحاضر أن يشقّ طريقه على نور هديها. كان الأدب ولا يزال القائد الأعلى المطاع في معارك الحريّة وثبات الشعوب.

فيا أمراء البيان، وأئمة لغة القرآن، عليكم المُعوَّل في سدّ هذه الثغرات، وإليكم المرجع في تدارك هذه الحاجات.

إن عيدنا الأكبر- يا سادة- هو اليوم الذي تتحقق فيه أمنية هذا الشيخ الحكيم، ألا وهي الوحدة العربيّة الشاملة.»

وهذا مقطع من كلمة رئيس المجمع، محمد كرد علي، رحمه الله:

«الاحتفاء بأبي العلاء والإشادة بذكراه، دعوة إلى الأدب في أنبل غاياته، وأعفّ مقاصده، وإلى الأخلاق الكريمة، والإنسانية في مُثُلها العليا؛ فلقد كان أبو العلاء داعيةَ رُشدٍ وسلام، دعا إلى عالَم يستملي نظمه من عقل الحكيم، وقلب الشاعر، ووَرَع الزاهد، وتقوى العابد، ونزاهة المخلص، يظلّه الإخاء والسلام، وينكر التظالم والخصام.»

ولم تكن هذه المعاني القوميّة، والآمال العربيّة، غائبة في المهرجان، بل كانت تطلّ من كثير من كلمات الخطباء وقصائد الشعراء، وكثيرًا ما كانت القاعات تهتزّ جدرانها من تصفيق الجمهور الذي تهزّه تلك المعاني وتحرّكه تلك الكلمات.

لقد كانت الجماهير العربية تستمع إلى بدوي الجبل، وهو يقول:

هـذي العروبـة في حمـاك مُدِلَّـة ... رِيْـعَ العـدوُّ بهـا وجُـنَّ اللّاحـي

الوَحـدةُ الكـبرى تَهلَّـلَ وجهُهـا   بظـــلال أبْلـــجَ ذائـــدٍ نفّـــاح

وتستمع إلى محمد البزم، وهو يقول:

لِيَهْنِـك أنّ الـشام يفظـى مَـساعرُه   وفيٌّ بعهـــدِ الـــضَّادِ ريَّـــا أواصرُه
حَفـيٌّ بـما يُـرضي العروبـةَ نـاهضٌ   بأمجادهـــا باديـــهِ عفـــوًا وحـــاضره

وتستمع إلى عارف النكدي وهو يذكّر ويحذّر؛ يذكّر كيف كانت الأمة مملكةً واحدة فتمزّقت، ويحذّر قائلًا: «وهل تَجزَّأ وطن من الأوطان، أو تمزّق قطر من الأقطار، إلّا ليكون للاستعمار مقرًّا، وللمستعمِر مَمَرًّا؟».

وتستمع إلى مهدي البصير، وهو يقول:

«إن العرب اليوم قد شعروا بدم الحياة يجري في عروقهم مرةً أخرى، فانتفضوا من مراقد الخمول، ونهضوا من كبوتهم البعيدة المدى، وراحوا يعملون بكل ما أوتوا من قوّة على لَمّ شعثهم، ورأب صدعهم، وإصلاح بلادهم، وهم مقتنعون في قرارة نفوسهم بأن توحيد بلادهم بشكلٍ من الأشكال، هو الطريق الوحيد لتحقيق كل هذه الأغراض، وبلوغ كلّ تلك الغايات.»

وتستمع إلى شاعر الشام شفيق جبري يقول:

مـــا دري الهـــاتفون أيّـــة ذكـــرى   هيجَّـــتْ رَبْعَهـــم فَـــرفَّ حنانُـــه
تلـك ذكـرى أبي العـلاء ومـا ذكــ   ـــــراه إلّا الربيـــــعُ أو رَيْعانـــــه

* * *

بعثـتْ جلَّـق روائـع ماضـيه   وهـــذي آثـــاره وعيانـــه
قسمًا بالحِمى ومـا نـسج الفجــ   ــر عليـه فـلألأتْ أحـضانه
ليس يفنى شعبٌ تَغنَّى بـماضٍ   مـــلأ الـــدنيا نعمـــةً عنفوانـــه
أرأيــتم، والمهرجــان صــداه،   كيـف هبَّـتْ سـهوله ورعانـه

يتنـاجى شـبابها في هـوى المـا ضي، ونجواهم ضمه وضـمانه
فمتـى يَـنظِم الحِمـى علَـمٌ يحْـ ـمِلُ بُشرَى التفافِهم خَفَقانـه؟

وكانت كل تلك المعاني والمشاعر مصاحبةً للمهرجان وحفلاته وجلساته وطُرُقات وفوده.. فكثيرًا ما كنت أرى الناس في الشوارع والطرقات تزدحم، وتصطفّ، وتلاحق مواكب الضيوف، وهي بين تهليلٍ وتصفيق وكلماتِ ترحيب عفويّة يَستقبل العربُ بها العربَ.

إنها أفكار عن الجوّ العربيّ، ورُؤى منه، أردتُ أن أضعها بين أيدي القرّاء ليدركوا أيّ عملٍ قام به المجمعيّون، وأيّ جوّ استطاعوا أن يضعوا البلاد فيه، بكل مَن فيها من حكّام رسميِّين، ومثقّفين، وشباب متشوِّقين، ومواطنين عاديِّين، وفي كلِّ المدن السوريّة.. إنه جوّ أمّةٍ متحسّرة على ماضٍ بعيد كان مجدًا وعزًّا لها، متألّمةٍ من ماضٍ قريب آلمها وأذلّها، مُتطلِّعةٍ إلى غدٍ مشرقٍ تشعر فيه بعزّة الماضي وحريّة الحياة وكرامتها، وتمتلئ نفوس أبنائها بأملٍ قويّ بالقدرة على صُنع المستقبل الآمن الكريم لأمّة سيّدة لنفسها، حرّةٍ بلسانها وإنسانها ووطنها.

وأعود الآن لأتابع سرد وقائع المهرجان الألفيّ، الذي كانت وراءه كلُّ تلك الآمالِ المحرِّكة والنيّات النبيلة، والجهود المخلصة.

وأعتقد أن ما دعا المجمعيِّين إلى إقامة المهرجان، جعلهم يضعون له برنامجًا خاصًّا لا يكون فيه مقتصرًا على عمل ثقافي أو احتفال أدبيّ.. فلقد أطالوا زمانه، ووسَّعوا مكانه، وراعوا أن يكون (الكلام) من خطب ومحاضرات وقصائد، في وقت متأخر من اليوم، هو الساعة الخامسة مساءً من كلّ يوم، عدا يوم الافتتاح! وذلك ليستثمروا النصف الأول من النهار في السياحة والزيارات الرسمية، واللقاءات، والذهاب إلى الأماكن الأثريّة، والتنقّل بين المدن المتباعدة التي

شملها برنامج الاحتفال فكانت دمشق وحمص وحماة والمَعرَّة وحلب واللاذقيّة.. إنه مهرجان يخترق سورية من جنوبها إلى شمالها، ويلفت النظر بتقاليدَ احتفاليةٍ جديدة، تشدّ الجمهور وتهزّ المشاعر، وتوطّد الصلات بين المفكرين والأدباء العرب في تنقّلاتهم المشتركة، وفي جلساتهم الصباحيّة.. وقد استطاع المجمعيّون ومَن شاركهم أن يجعلوا من مهرجان المعرّي سوقًا أدبية تضاهي سوق عكاظ شهرةً في عصرها، وأكبر سوق أدبية عرفتها دمشق في تاريخها، يشارك في الاحتفالات والكلمات شخصيات أدبيّة بارزة من سورية ومصر والعراق والأردن ولبنان وفلسطين، ومن باكستان، وفرنسا وإنكلترا.

ومن الجدير بالذكر أن الشقيقة الكبرى مصر، كانت عازمة على إقامة المهرجان الألفيّ لأبي العلاء في القاهرة، فلمّا أبلغها مجمع دمشق أن سورية تهيّئ لإقامة المهرجان للشاعر الذي ضمَّه ترابُها، آثرتْها على نفسها، وتنازلت لها عن القيام بالاحتفال، وشاركت بوفد ثقافيٍّ وأدبيّ كبير، وأهدت مجمع دمشق كتابًا طبعته وزارة المعارف المصرية تخليدًا لهذه المناسبة العلائية، وهو كتاب «تعريف القدماء بأبي العلاء».

ولعلّ في ذكر أسماء الوفود التي لبّت دعوة دمشق، وشاركت في الاحتفالات ما يعطي القارئ فكرة عن المستوى الرفيع الذي حرصت الحكومات والمجامع والجامعات والنقابات والإذاعات على تمثيلها فيه.

كان وفد مصر يضمّ كلًّا من:

طه حسين، رئيس وفد وزارة المعارف المصرية.

أحمد أمين، ممثلًا عن كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، ومندوبًا عن مجمع فؤاد الأول.

إبراهيم عبد القادر المازني، ممثلًا لنقابة الصحفيين بمصر.

عبد الحميد العبّادي. عبد الوهاب عزّام.

أحمد الشايب، مندوب جامعة فؤاد الأول

وشارك من العراق، كلٌّ من: طه الراوي، ومهدي الجواهري ممثل وزارة المعارف العراقية، ومهدي البصير.

وشارك من لبنان: عارف العارف، مندوب الحكومة اللبنانية، وأنيس الخوري المقدسي، وأنيس النصولي، ورئيف خوري، وفؤاد أفرام البستاني.

ومن شرق الأردن شارك: محمد الشريقي، وأديب وهبة.

ومن فلسطين شارك: عزمي النشاشيبي.

ومن إيران شارك: عباس إقبال.

كما شارك المستشرقان: الفريد غليوم من انكلترا، وهنري لاووست من فرنسا.

وتأخر بعض المدعوّين عن الحضور فألقَوْا كلماتهم في الجلسة الأخيرة، وغاب بعضهم فأُلقيتْ كلماتهم نيابةً عنهم(١).

وأما السوريّون فقد شارك منهم: محمد البزم، وعارف النكدي، وجميل صليبا، وبدوي الجبل، وعبد القادر المغربي، وسليم الجندي، وشفيق جبري، وعمر أبو ريشة، وسامي الكيالي، والآنسة جهان الموصلي، مندوبة الندوة الثقافية النسوية.

ولا بدّ أن أذكر بإكبار وإعجاب جهود عدد آخر من المثقفين السوريّين الذين كانوا متطوّعين يساعدون المجمع في كل ما كان يحتاج إليه من إعداد

---

(١) تجد تفصيل ذلك في الكتاب الذي أصدره مجمع دمشق بعنوان «المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي» سنة ١٣٦٤ هـ و١٩٤٥م.

للمهرجان من إجراءات تنظيميّة للدعوات والاستقبال ومرافقة الضيوف وتنظيم المواعيد للحفلات والزيارات، وغير ذلك من أعمال تبدأ من صباح كل يوم، ولا تنتهي إلى منتصف الليل لمدة أسابيع بدأت قبل موعد المهرجان، واستمرّت حتى نهايته! إنهم مجموعة من الشبّان المثقفين الناشطين الذين كانت لهم أسماؤهم اللامعة في المجتمع وفي المجمع. ولقد رأيت بعضهم في أيام المهرجان والعرق يتصبّب على وجوههم، وقد أخذ التعب منهم كلَّ مأخذ. أما وقائع المهرجان فقد سارت على النحو الآتي:

كانت الجلسات الخطابية تبدأ كل يوم في الساعة الخامسة مساء في قاعة المحاضرات (المدرج) في جامعة دمشق. ويُترك للضيوف تنفيذ برامج زيارات أعدّه المجمع لهم يملأ الوقت الصباحيَّ من كل يوم.

وقد زارت الوفود في اليوم الأول رئيس الجمهورية الذي استقبلهم ورحّب بهم، وزاروا المجلس النيابيّ فاستقبلهم رئيسه فارس الخوري، ودعا الدكتور طه حسين إلى إلقاء كلمة على النوّاب، فارتجل كلمةً طيّبة، وردّ عليه رئيس المجلس بكلمة مناسبة.

ثم لَبَّوا دعوة إلى الغداء في الفندق الذي يقيمون فيه، وهو فندق (أوريان بالاس) في ساحة الحجاز، وكان أفخم فنادق دمشق. وكانت «دعوة علائية» دعاهم إليها المجمع، وجعلها على شروط أبي العلاء في تحريم ما حرّم على نفسه، فكان الطعام خاليًا من اللحم والسَّمن واللبن والبيض.

وفي صباح اليوم الثاني، زاروا متحف دمشق، والجامع الأموي، وعرّجوا على باب البريد، فزاروا المجمع العلمي العربي في المبنى القديم (المدرسة العادلية)، وزاروا المكتبة الظاهرية، ووقفوا عند ضريح صلاح الدين الأيوبي، ثم زاروا

البيمارستان، وزاروا جامع الشيخ محيي الدين بن عربي، ثم لبّوا دعوة وزير المعارف إلى الغداء في الفندق نفسه، ولكن بعد رفع شروط الحظر العلائية.

وأقام لهم المجمع حفلة عشاء في حديقة متحف دمشق، كما أقام رئيس الجمهورية على شرفهم حفل عشاء وداعيّ في القصر الجمهوريّ في آخر أيام المهرجان.

وإذا كانت هذه الزيارات وهذه الدعوات هي بعض ما لقيه الضيوف في دمشق، فإن ما رأوه في المدن السورية الأخرى، لم يكن بأقلّ مما لقُوه في دمشق.

وأما الجلسات المسائية فقد كانت تعقد في بهو الجامعة السورية (جامعة دمشق) حين تكون الجلسات في دمشق. وهي تبدأ في الساعة الخامسة مساءً من كل يوم.

الجلسة الأولى (يوم الاثنين في ٢٥ أيلول ١٩٤٤)

وكانت جلسة افتتاح المهرجان، عقدت برعاية رئيس الجمهورية وحضوره، وألقيت فيها الكلمات الآتية، بعد افتتاحها بالنشيد السوري:

١- كلمة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي.

٢- كلمة وزير المعارف السيد نصوحي البخاري

٣- كلمة رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق الأستاذ محمد كرد علي

٤- كلمة الدكتور طه حسين، رئيس وفد وزارة المعارف المصرية.

٥- قصيدة مهدي الجواهري، ممثل وزارة المعارف العراقية.

٦- كلمة الأستاذ أحمد الشايب، ممثل جامعة فؤاد الأول بالقاهرة.

الجلسة الثانية (يوم الثلاثاء في ٢٦ أيلول ١٩٤٤)

كانت كسابقتها، بدأت الساعة الخامسة في بهو الجامعة بدمشق، وتحدث فيها:

١- أحمد أمين، ممثل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

٢- محمد إسعاف النشاشيبي، عضو المجمع العلمي العربي المراسل من فلسطين.

٣- محمد البزم (قصيدة)، عضو المجمع العلمي العربي.

٤- المستشرق الفرد غليوم، جامعة أكسفورد، عضو المجمع المراسل من إنكلترا.

٥- عارف النكدي، عضو المجمع العلمي العربي

وشاركت في هذه الحفلة الفرقة الموسيقية لإذاعة دمشق بغناء قصيدة للمعرّي مطلعها:

يا ساهرَ البرقِ أَيقِظْ راقدَ السَّمَرِ لعلّ بالجزعِ أعوانًا على السَّهَرِ

الجلسة الثالثة (يوم الأربعاء في ٢٧ أيلول ١٩٤٤)

كان يوم الأربعاء، وهو اليوم الثالث من أيام المهرجان موعد زيارة الوفد لضريح أبي العلاء في معرّة النعمان. وعند الساعة العاشرة صباحًا انطلقت من فندق (أوريان بالاس) عشر سيارات أعدّها المجمع، حاملة الضيوف والمجمعيِّين إلى المعرّة.

وقف الرّكب في (النبك) فشربوا القهوة في حديقتها، واستراحوا قليلًا ثم تابعوا طريقهم إلى حمص حيث وعدوا مستقبليهم بالعودة إليهم، وتابعوا السفر إلى حماة.

وفي حماة استقبلهم المحافظ خالد الداغستاني وجمهور من أهل حماة، وانطلق الجميع إلى (دار العلم والتربية) وفيها ألقى المحافظ كلمة ترحيبيّة، ثم دعاهم إلى تناول الغداء في فندق أبي الفداء، قرب نواعير حماه، وفي الفندق تكلّم كلّ من طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزّام وطه الراوي وأديب وهبي عن حماة، وعن مهرجان المعرّي، وعن الجامعة العربية، وعن الصلات العربيّة الجامعة للعرب والموحِّدة لهم، وقد ألقيت كلّ تلك الكلمات على مأدبة الغداء الفاخرة التي تميّزت بالكرم الحموي والتي أعدّها لهم المحافظ في فندق أبي الفداء.

وما إن انتهى الغداء حتى اتجه الركب إلى معرّة النعمان، التي استقبلهم فيها نائبها السيد حكمة الحراكي مع وفد شعبيّ كبير، ودعاهم إلى داره، وبعد أن استراحوا دعاهم قبيل الغروب إلى السير على أقدامهم لزيارة ضريح أبي العلاء.

وعند الضريح، وحوله، كانت للوفود وقفة سادها جوّ من الرهبة والجلال، وأحاطت وفود أهل حماة والمعرَّة ببناء الضريح من الخارج، وجلس الضيوف على الكراسي التي أعدّت لهم حول الضريح، وعلا صوت القارئ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وبدأ طه حسين - وهو المُحبّ المعجَب بأبي العلاء - فألقى كلمة كانت «مناجاة أبي العلاء»، ثم ألقى محمد الشريقي قصيدة للشاعر معروف الرصافي عنوانها «شاعر البشر».

وألقى مهدي البصير كلمة «على قبر أبي العلاء»، وفي آخرها زفَّ البصير إلى أبي العلاء بشرى اجتماع المندوبين العرب بالإسكندرية للعمل على جمع الشمل العربيّ . ودعا المعرّي أن يسأل ربَّه التوفيق لهم والنجاح فيما اجتمعوا لأجله(١)، وكانت هذه عند قبر المعرّي جلسة ملأت نفوس الحاضرين بكثير من المشاعر الإنسانية العميقة.

وعاد الرَّكب بعد ذلك إلى بيت النائب حكمة الحراكي الذي كان أعدّ لهم عنده عشاء حمويًّا سارت بوصفه الرّكبان لما امتاز به من ذوق وكرم.

وغادر الضيوف منزل آل الحراكي بعد العشاء قاصدين مدينة حلب التي وصلوا إليها بعد منتصف الليل بقليل، وكان محافظها السيد إحسان الشريف في

---

(١) مرّت الإشارة إلى هذا الخبر في حاشية الصفحة ٥٨.

استقبالهم عند مدخل فندق (البارون) الذي حلّوا فيه، استعدادًا لمتابعة جلسات المهرجان في يوم الخميس.

الجلسة الرابعة، في حلب (يوم الخميس ٢٨ أيلول ١٩٤٤)

بدأ نشاط الوفود يوم الخميس في الساعة العاشرة صباحًا، فزاروا قلعة حلب، والمتحف، والمكتبة الوطنية، واستقبلهم المحافظ في دار الحكومة استقبالًا رسميًّا حيّتهم فيه موسيقا الدرك، ثم دعاهم المحافظ إلى تناول الغداء في فندق (البارون).

وقام الضيوف بعد الظهر بزيارةٍ لضريح الزعيم إبراهيم هنانو، ثم توجّهوا إلى مدرسة التجهيز، حيث هُيِّئت باحتها لعقد الجلسة الرابعة، ففُرشتْ وزُيِّنت بالأعلام العربية والأنوار، وأعدّت مكبِّرات الصوت، وامتلأت المدرسة والطرق المؤديّة إليها بالجماهير.

ابتدأت الجلسة بالنشيد السوري، ثم ألقيت كلمات كلٍّ من:

- إحسان الجابري، محافظ حلب (كلمة ترحيب)
- إبراهيم عبد القادر المازني، مندوب نقابة الصحفيين المصريين. وكانت كلمته تنقل بالإذاعة فورًا إلى قاعة النقابة بالقاهرة.
- كلمة طه الراوي.
- قصيدة عمر أبي ريشة.
- كلمة سامي الكيالي.
- كلمة طه حسين، ولم تكن مُدرَجة في برنامج الحفل، ولكن الجمهور طلب كلمة منه، فارتجل كلمة تحدّث فيها عن حذق أبي العلاء في فنّه الشعري.

وكانت الألحان الموسيقيّة تتخلَّل الكلمات، وعاد المدعوّون بعد الاحتفال

إلى فندق البارون، فتناولوا العشاء ثم أمضوا سهرة على سطح الفندق أحيتها فرق كشفيّة وشعبيّة بالموسيقا والمشاعل الناريّة، فعاش الضيوف تلك الليلة في جوٍّ حلبيّ أصيل، يجتمع على الأدب ويتميّز بحبّ الطرب، والتعصّب للعرب، وقد تركت تلك الليلة الحلبية أثرًا حميدًا في نفوس الزائرين.

الجلسة الخامسة (في يوم الجمعة ٢٩ أيلول عام ١٩٤٤)

غادر ركب الضيوف مدينة حلب في الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة قاصدين مدينة اللاذقية، ولمّا وصلوا مدينة (إدلب) استقبلوا استقبالًا شعبيًّا حافلًا أعدّته بلديّة إدلب وشارك فيه المئات من الطلاب والطالبات، وقُدّمت الورود للزائرين الذين تابعوا طريقهم، ولم يصلوا إلى حيث دعاهم محافظ اللاذقية، الأمير المجمعي مصطفى الشهابي، إلى الغداء في غابات الفرلُّق إلّا بعد أن قطعوا الجبال والأودية والطرق الصعبة التي ملأتهم شعورًا بالرهبة والجلال والتعب، ولكن ذلك كلّه ذهب عنهم حين رأوا المحافظ وصحبه وسط تلك الغابات الباسقة، وقد أعدّوا لهم موائد الطعام في جوّ طبيعيّ خلّاب . وكان رئيس البلدية عدنان الأزهري دعا بعض المواطنين من التركمان ليطربوا الضيوف بالعزف الشعبيّ على مزاميرهم وغنائهم. ثم ألقى رئيس البلدية كلمة على المائدة رحب فيها بالضيوف وحيّاهم باسم اللاذقيّة. وتوجّه الرّكب بعد الغداء إلى اللاذقية ، وكان محافظها قد أعدَّها للاستقبال، كما أعدّ الفندق للاحتفال. وحلّوا في فندق السياحة والاصطياف المشرف على البحر، فاستراحوا قليلًا، ثم نزلوا إلى مكان الاحتفال في الفندق نفسه، وكانت الجماهير تحتشد في الجوانب المحيطة بمكان الاحتفال.. وبدأت الجلسة الخامسة بين أنغام الموسيقا وهتاف الجماهير وصوت أمواج البحر، وألقيت الكلمات على النحو الآتي:

- كلمة المحافظ المجمعي الأمير مصطفى الشهابي، (كلمة ترحيبية بسط الحديث فيها عن اللاذقية).
- كلمة عبد الحميد العبّادي، عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.
- كلمة جميل صليبا، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
- قصيدة بدوي الجبل
- كلمة محمد الشريقي
- كلمة أنيس المقدسي، ممثّل الجامعة الأمريكية ببيروت.

وبعد انتهاء الحفل توجّه أعضاء الوفود إلى دار المحافظ الذي دعاهم إلى العشاء مع عدد كبير من وجهاء اللاذقية وأعيانها وكبار موظفيها. وكان عشاء سامرًا شارك فيه الزَّجَل الشعبي بغنائه وإنشاده الجميل.

وفي صباح يوم السبت في ٣٠ أيلول تجوّل الوفد في مدينة اللاذقيّة حتى وصلوا إلى الشارع الذي أَطلقتْ عليه البلدية اسم (أبي العلاء) فتمّ افتتاحه بين هتاف الجماهير وتصفيقهم، بعد أن زاروا دار الكتب الوطنية التي شيّدها المحافظ.

ثم اتّجه الركب نحو دمشق، فمرّوا بمدينة (حمص) ووقفوا فيها، وكان في استقبالهم محافظها السيد فؤاد الحلبي، ورئيس بلديّتها السيد فيضي الأتاسي.

وقام الوفد في حمص بزيارةٍ لرئيس الجمهورية السابق السيد هاشم الأتاسي، ثم تناول الغداء في حديقة البلديّة الجميلة، وتكلّم على المائدة رئيس البلديّة فيضي الأتاسي، وردّ بكلمة شكر المجمعيّ عارف النكدي، كما تكلم عضو الوفد المصري عبد الوهاب عزام كلمةً استلهم معانيها من مجاورته لضريح ابن الوليد، فكانت كلمة عربيّة طيّبة تبعث على الأمل وتحثّ على العمل.

ووصل الرَّكْب إلى دمشق بعد أن مرّ بالنبك، واستراح قليلًا، وفي دمشق

قصد فندق (أوريان بلاس) الذي أقام فيه الدكتور طه حسين مأدبة عشاء دعا إليها الوزراء وأعضاء الوفود. وألقى الشاعر مهدي الجواهري أبياتًا أثناء العشاء، ودعا طه حسين وأصحابه إلى زيارة العراق.

وتبادل المدعوّون أطراف الأحاديث وما تركته احتفالات المدن السورية في نفوسهم من آثار وعواطف.

الجلسة السادسة (في يوم الأحد في ١ تشرين الأول عام ١٩٤٤)

انطلقت السيّارات في الساعة العاشرة صباحًا متَّجهة نحو مصيف بلودان التي أعدّ المجمع فيها مأدبة غداء (في فندق بلودان الكبير) دعا إليها الوفود ومن يرافقهم، وعادوا بعد الغداء إلى دمشق لحضور الجلسة السادسة والأخيرة من جلسات المهرجان.

افتتحت الجلسة في الساعة الخامسة في بهو جامعة دمشق (الجامعة السورية) وتكلم في الجلسة كلٌّ من:

- عبد الوهاب عزّام، عضو الوفد المصري، والعضو المراسل في مجمع دمشق
- الشيخ عبد القادر المغربي، عضو مجمع دمشق
- سليم الجندي، عضو مجمع دمشق
- المستشرق هنري لاووست، العضو المراسل في مجمع دمشق من فرنسا
- شفيق جبري (قصيدة)، عضو مجمع دمشق

ولّما كانت هذه الجلسة هي الأخيرة فقد ألقيت فيها كلمات تأخّر أصحابها عن مواعيد الحضور، فألقَوها وهي: كلمة فؤاد البستاني من لبنان، أديب وهبة من الأردن، وعارف العارف من لبنان، وعزمي النشاشيبي من إذاعة فلسطين، والآنسة جهان الموصلي (مندوبة الندوة الثقافية النسوية).

وقد أُلحقتْ بالكتاب الذي أصدره المجمع عن المهرجان كلماتٌ أرسلها أصحابها ولم يحضروا، وهي كلمات كلٍّ من:

- محمد رضا الشبيبي، رئيس مجلس النواب العراقي
- إبراهيم مصطفى، مندوب جامعة فاروق الأول
- عباس إقبال، من إيران
- فيليب حتى، من جامعة برنستون
- قصيدة كاظم الدجيلي، قنصل العراق في تبريز
- فخري البارودي

وعقب انتهاء الجلسة الأخيرة للمهرجان، توجّهت الوفود المشاركة إلى دارة رئيس الجمهورية شكري القوّتلي، الذي أقام مأدبة عشاء فخمة على شرف الوفود العربيّة، ودعا إليها الوزراء والمجمعيِّين، وعددًا كبيرًا من رجالات الأدب والفكر والصحافة. وتحدّث على المائدة كلٌّ من الشيخ بهجة البيطار، والأستاذ أحمد أمين، والدكتور طه حسين الذي شكر الرئيس وقال إنه أول رئيس عربيّ يُكرم أبا العلاء برعاية مهرجانه وإكرام ضيوفه. وارتجل الرئيس القوتلي كلمة شكر فيها الوفود، وأكّد الوحدة العربية بقوله «لا حياة لبلادنا إلّا إذا اتّحدتْ الأمّة العربيّة بآمالها وآلامها وأهدافها، وكما أنها ذات تاريخ واحد، وتقاليد واحدة، نريد أن تكون ذات ثقافة واحدة، وسياسة واحدة».

واختتم المهرجان نشاطه في منتصف الليل من اليوم الأول من شهر تشرين الأول سنة ١٩٤٤، وصدر عن مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٤٥ كتاب «المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي» الذي وضعه المجمع العلمي العربي، مؤرِّخًا أحداث المهرجان ووقائعه، وكلَّ ما دار فيه من أوجه النشاط، جامعًا كل ما قيل في جلساته من كلمات وقصائد، وكلّ ما أُلحق بها من كلمات لم يحضر أصحابها.

أصداء المهرجان

وبعد، فللقارئ أن يتصوّر أثر هذا المهرجان الثقافي العربي الذي استمرّ أسبوعًا، وكانت أحداثه اليومية ووقائع جلساته تُنشر في الصحف اليومية، وتُذاع من إذاعة دمشق، وتتناقلها الإذاعات العربيّة التي دُعيت إليه، وكان لبعضها ممثّلون في المهرجان، يبعثون لإذاعاتهم أخبار المهرجان يومًا فيومًا.

وزاد في قوّة صدى ذلك المهرجان أنّ الدعم الحكومي الرسميّ كان لا يقلّ عن احتفاء المجمع بضيوفه، ولا عن الترحاب الجماهيري الذي كان يلقاه الضيوف أينما ساروا وحيثما اتجهوا... فلقد استقبل رئيس الجمهورية أعضاء الوفود يوم وصلوا إلى دمشق، ودُعوا إلى المجلس النيابيّ، وكان رئيسه واحدًا من أعضاء المجمع هو الأستاذ فارس الخوري، فدعا الدكتور طه حسين ليتحدّث إلى النوّاب ، فألقى في المجلس كلمة باسم الوفد المصريّ، وردّ عليه الأستاذ الخوري بكلمةٍ مناسبة، ثم نقل المجمع ضيوفه إلى فندقٍ هيّأ لهم فيه غداءً علائيًّا استعدادًا للدخول في الجوّ النفسي والمعيشي لأبي العلاء؛ فلم يكن ما في طعام الغداء ولا في مكوّناته شيء مما حرّمه المعرّي على نفسه كاللحم أو اللبن أو البيض أو السمن !

وقد بقيت آثار هذه الزيارة العربيّة والاحتفالية الثقافية في نفوس الذين حضروها خالدة في نفوسهم مطبوعة في ذاكرتهم.. وحسبي دليلًا على ذلك أن أستاذي د. طه حسين ذكر لي شيئًا عنها وعن انطباعها في نفسه وفي ذاكرته حين كنت طالبًا عنده في سنة خمس وخمسين (١٩٥٥) فأثنى عندما ذكَّرته بالمهرجان على الشعور العربي الأصيل الذي شعر به عند الشاميِّين- كما قال- وعلى الكرم الذي يتصف به الشاميّون.

ولست أنسى الشعور العربيّ المشترَك الذي عبّأ به ذلك المهرجانُ نفوسَ الناس، مثقّفين وعامّة، كبارًا وصغارًا؛ لقد سعد الجميع بلقاء قامات ثقافية وأدباء ومفكّرين لامعين يسمع بأسمائهم ولم يرهم من قبل، يأتون إلى بلده، ويتحدّثون إليه، ويسيرون في أسواق المدينة، ويسهر بعضهم في بعض البيوت الدمشقية، كبيت خليل مردم بك .. ولعلّ في ذكر الحادثة التالية التي ما زالت تحيا في ذاكرتي منذ ستّين سنة، ما يدلّ القارئ على ما تركت (سوق عكاظ) العلائية الدمشقيّة في نفوس الناس، وما تركت في مُخيَّلاتهم من آمال، وما أحيت في عقولهم من أفكار.

لقد حضرتُ حفلة للمهرجان عُقدتْ في جامعة دمشق، وكنت ابن أربع عشرة سنة بصحبة والدي، جلست بعيدًا عنه، أسمع كلام المتكلّمين فأفهم بعضه، وأسمع تعليق المعلِّقين، وأعلّق - في نفسي- على تعليقهم ! وعندما انتهت الجلسة وكان رئيس الجمهورية حاضرًا فيها، خرج وخرج بصحبته كبار الشخصيّات، وانسللتُ مسرعًا فهبطت درجات مدخل الجامعة، ووقفت على آخرها عند الرصيف، كنت في انتظار خروج والدي لأعود معه إلى البيت. ومن أسفل الدَّرَج كانت عيني تتطلَّع مُحدِّقة إلى الباب الكبير الذي يقف عنده موكب الرئيس وصحبه.. رأيت الرئيس القوّتلي يحيط به عدد من الضيوف، يتحادثون ، ولا أسمع، وأقدّر أنهم كانوا يسمعون ترحيبًا، ويردّون شكرًا وثناء. وخرج والدي مع من خرج، وصَحبتُه إلى البيت، وتحلَّقت الأسرة حول الطعام ، وسألني والدي: هل سُرِرتَ بصحبتي اليوم؟ قلت: نعم، كثيرًا. قال: هل سرّك ما سمعت من الخطباء؟ قلت: لم أفهم كثيرًا مما سمعت، ولكني سُررتُ بما رأيت. قال وماذا رأيت؟ قلت: لقد كنت أنتظرك عند باب الجامعة فرأتْ عيني منظرًا ترك في نفسي

أثرًا لا أستطيع وصفه! قال: وما هو؟ قلت: كان رئيس الجمهورية واقفًا وسط دائرة أو حلْقة تُحيط به، فارس الخوري وطه حسين وأنت والبصير وآخرون من عن يمينه، والنشاشيبي وكرد علي والنكدي وخليل مردم من عن يساره، فقلت في نفسي: يا تُرى هل أعيش لأرى الشعوبَ التي يُمثّلها هؤلاء من سورية ومصر والعراق والأردن ولبنان مجتمعةً حول رئيسٍ واحد لها؟!

ترك والدي طعامه، ونظر إلى وجوه إخوتي حوله حتى وصل نظرُه إلى وجهي، فثبَّت نظره عليَّ وقال: أحسنتَ، حيّاك الله، وحقَّق رجاك أو قال دُعاك – لم أعد أذكر- ذلك انطباعٌ واحد مما تركه ذلك المهرجان وضيوفُه في نفسِ مراهقٍ عربيّ عاش في تلك الأيام..

أفلا يكفي ما سمعتُه من د. طه حسين في القاهرة بعد عشر سنوات من تاريخ المهرجان، وما بقي في نفسي وفكري بعد ستّين سنةً من ذلك التاريخ، أن أقول إنَّ مجمع دمشق (المجمع العلمي العربيّ) لم يُعرِّب لسان السوريين وحده، بل عرّب الحياة في بلاد الشام، لسانًا وفكرًا وقلبًا وشعورًا، وعرّب الصلات بين العرب، بل قلْ إنه صدَّر عروبةً خالصة، واستطاع أن يجمع في حضنه ولمدة أسبوع كبار الشخصيات، وأبرز رجال الفكر، وألمع الأسماء العربية، من سورية ومصر والعراق والأردن وفلسطين ولبنان، ومن كلِّ النزعات والاتجاهات والمذاهب... نعم استطاع أن يجمعهم في أسبوع حُبٍّ عربيّ، وتوافقٍ فكريّ على تكريم أديبٍ عبقريّ، لقد وحّد بينهم في تلك الأيام فكرًا وثقافة وسلوكًا وهدفًا، وهذا ما نحتاج إليه نحن في هذه الأيام.

وأين نحن اليوم من رجالٍ كانوا يغتنمون كلَّ مناسبةٍ لتكريم ضيفٍ أو تأبين راحل، أو إقامة احتفالٍ مئوي أو ألفيّ ليجعلوها مظاهرةً عربيَّة، وسوقًا

فكريّة، تذكّر الناس في بلاد الشام كلِّها، وأقطارِ العرب كلّها، أنهم أمة واحدة ذات تاريخ واحد، والنابغ في قطر من أقطارهم، نابغٌ منهم جميعًا، ولهم جميعًا، وبلسانهم جميعًا، وأيّ تعريبٍ أصدقُ مِن هذا التعريب ؟!

المجمع والآثار والمعارض

لم يكتف المجمع بنشاطه في الميادين السابقة، بل عُني في فترةٍ من عمره بالآثار، فأقام لها المعارض ليذكّر الناس بماضيهم المجيد، وأهمُّ من ذلك أنه حافظ على ما حصّله وجمعه منها، ونشر الوعي بضرورة المحافظة عليها، فلقد كانت آثار بلادنا عُرضة للنهب والسَّلب، وكان الحكّام المتسلّطون على بلاد الشام ينقلون الكثير من الآثار التاريخية الثمينة إلى متاحف بلادهم، وأحيانًا إلى بيوتهم ! كما كان التّجار والسماسرة وضعاف النفوس يتاجرون بالآثار ويبيعونها إلى هواة الآثار وإلى سماسرة المتاحف الأوربية التي أصبح من ممتلكاتها الكثير من الآثار القديمة الإسلامية والعربيّة المنهوبة من بلادنا !! [1]

وكان المجمع من أوائل الذين طالبوا بالمحافظة على الآثار، وقامت الحكومة العربية بإنشاء «المتحف الملوكي» في سنة ١٩١٩ ، وألحقته بالمجمع العلمي العربي، وخصّص له المجمع عددًا من غرفه للآثار، ونشر الدعوات إلى جمعها وشرائها وإهدائها. وأصدر رئيس ديوان المعارف، رئيس المجمع فيما بعد، بيانًا بذلك ونشره بتاريخ ١٨ آذار سنة ١٩١٩. ثم ألّف لجنة للاهتمام بالآثار واقتنائها. وقد سمعت من الذين زاروا معارض الآثار في المجمع بباب البريد بدمشق أنهم شاهدوا في جملة ما شاهدوه قطعة نقدية مضروبة أيام العبّاسيّين، كما شاهدوا سيف أبي عبيدة بن الجرّاح أحد فاتحي دمشق !.

---

(١) انظر (خطط الشام) ج ٦ ص١٧٧.

وبقي المجمع مشرفًا على الآثار حتى تاريخ إنشاء المتحف في سنة ١٩٣٧ فانفصلت إدارتها وخرجت من إشرافه.

كما شارك المجمع في إقامة المعارض الصناعيّة الوطنية وأدارها المجمعيّون وأشرفوا عليها لتكون حافزًا إلى نهضة صناعية وطنيّة (ويتحدّث الناس والإعلام عن المعارض الدولية وينسَون المعارض الدمشقية المحليّة الوطنيّة !).

كما شارك المجمعيّون في إقامة المعارض وكان من أوائل المعارض الوطنية التي أقيمت في دمشق معرض اقترح الأستاذ كرد علي وزير المعارف ورئيس المجمع العلمي العربي أن يقام في مبنى المجمع الذي هو المدرسة العادلية بباب البريد، وافتتح في ٨/٦/١٩٢٨ وكان معرضًا للصناعات الشرقية بجميع أنواعها من نسيجية وزجاجية وخشبيّة ومعدنيّة، وعُرضت في قاعات المجمع مجموعة من الآثار الإسلامية القديمة، وتركت قاعتان لعرض الصناعات الحديثة. وافتتحه رئيس المجمع ورأسه، وكان يساعده فيه الأمير جعفر الحسني- الذّي أصبح فيما بعد من أعضاء المجمع ثم أمينًا له- وكانت لهذا المجمع نتائج مَرضيّة وصدىً حسن في جميع الأوساط الرسمية والتجارية والصناعية والشعبيّة، ومُنح القائمون عليه والمشاركون فيه أوسمة استحقاق ذهبية وفضيّة، وكان معرضًا لم يسبق له في البلاد مثيل، مما دعا الكثيرين إلى الدعوة لإقامة معارض مثله في السنوات القادمة.

وكذلك قام الأمير مصطفى الشهابي- وهو الذي أصبح مجمعيًّا بل رئيسًا للمجمع- بالإشراف على معرض آخر، أقيم سنة ١٩٣٦ في مدرسة التجهيز الأولى- ثانوية جودة الهاشمي- فكان الشهابي مديرًا له وصدر بعد انتهاء المعرض مرسوم جمهوري بمنح الشهابي وسام الاستحقاق السوري لنجاحه في إدارة ذلك المعرض (الجريدة الرسمية السنة ١٨ العدد ٣ ص١١).

وكانت تلك المعارض الناجحة دافعًا مباشرًا للاهتمام بالسياحة وصدور المرسوم الذي ينظِّمها وينظم عمل الدليل السياحي. وكانت حدثًا اقتصاديًّا، وصرخة وعي وطنيّ، ودعوة إصلاحية لتشجيع الصناعة الوطنيّة.

ولقد سبق لي أن تحدّثت بالتفصيل عن هذه المعارض وأمثالها من المعارض المنسيّة في تاريخ المعارض السورية[1]، وذكرت فضل عدد من أعلام المجمع والثقافة ورجال الفكر والإصلاح في النزول إلى الحياة العامة والمشاركة في ساحات العمل الاجتماعي خلافًا لما يقال عن تحجّر المجمعيين في أبراجهم العاجيّة، حتى كان نصف أعضاء اللجنة المكلفة الاشتراك في معرض باريس من المجمعيّين !

من نتائج إنجازات المجمع

ونستطيع أن نقول بإيجاز إن ما قام به المجمعيون الأوائل ومَن معهم من رجال فكر ودعاة إصلاح كان مثالًا حيًّا لإحياء لغة ونضال شعب وتحرّر وطن، وتلك كلها لم تكن عندهم إلّا معنىً من معاني التعريب.

إن ما حدث في تلك السنوات القليلة كان حلقة مجيدة من التاريخ المعاصر كتبتْها بل صنعتها دمشق، وتجربةً رائدة، وقدوة تُحتذى لكلِّ شعب عربيّ استعبده حاكم وفرض عليه لغته، فاستطاع أن يمزِّق العجز، ويحرّر الفكر، ويُطلق لسان الأمة بلغتها. وحسبنا ما قاله الأستاذ ساطع الحصري «لقد أصبحت بذلك الدولة السورية تستحق اسم الدولة العربيّة بصورةٍ فعليّة»[2]،

---

(١) انظر مجلة المجمع، المجلد ٨٤ ج٢ ص ٥٣١.

(٢) يوم ميسلون : ٢٣٠.

وما قاله الأستاذ سعيد الأفغاني: «إنه بجهود المجمعيّين الأوائل لم تمض فترة قصيرة حتى كانت اللغة التركيّة في الشام تاريخًا من التاريخ القديم»[1].

وقال «عُرفت أسماء محمد كرد علي وسعيد الكرمي وسليم الجندي وشفيق جبري وعارف النكدي ومصطفى الشهابي وعز الدين التنوخي وعبد القادر المبارك، كتلة الحُماة المحافظين على سلامة العربيّة، المنافحين دونها، الواقفين بالمرصاد حتى لبعض نزوات زملائهم من المتسامحين»[2].

عجبت كيف تمّ لأولئك الرجال ما أرادوه بمثل تلك السرعة، وكيف استطاعوا أن يُزيحوا عن الأمَّة ما أزاحوه من ظلمة العجمة في كلِّ مناحي الحياة اللغويّة والثقافيّة والاجتماعيّة والوطنيّة... ولماذا أبطأت خُطانا من بعدهم وتعثّرت، ولماذا تحقّقت أمنياتهم وبقيتْ أكثر أمنياتنا أمنياتٍ وآمالًا ؟!

إن (مكتب عنبر) وفيه الأساتيذ المجمعيّون، عبد الرحمن سلام، وعبد القادر المبارك، وسليم الجندي، ومحمد البزم، ورشيد بقدونس. وفيه غيرهم من العلماء كالشيخ محمد الداودي، وجودة الهاشمي، وشكري الشربجي، وآخرون ممن احتلّت أخبارهم صفحات كتبت عن تلك القلعة الوطنيّة التي كانت تشعّ نورًا يهدي الأبناء، وتقذف نارًا تحرق الأعداء، وقد أدركت معظم شيوخه ومدرّسيه وعرفتهم عن قرب، ثم عرفت عددًا كبيرًا من تلاميذهم وطلّاب العلم الذين تخرَّجوا بهم، وجلست إليهم وسمعت منهم. أيقنت أن المدرسة الثانوية إذا قامت بواجبها بحقّ، وأدّت رسالتها بصدق، استطاعت أن تُعدَّ جيلًا، وأن تبني مستقبلًا.. وأن المدارس الابتدائية الأهلية التي أنشئت في

---

(١) حاضر اللغة العربية في الشام : ٦.

(٢) المصدر السابق : ١٠٦.

أواخر العصر العثماني، وهيّأت طلّابها لمتابعة التنشئة والتعليم في المدارس الثانوية التي كانت تسمى بالتجهيز، كانت العامل الممهِّد لصنع أبناء الأمة تربة صالحة للأخذ والتلقّي في المرحلة الثانوية، وكانت المرحلة الثانوية تُجهِّز الطلاب للدراسة العليا في المعاهد والجامعات، ولذلك سميّت (تجهيزًا).

وإن من يقرأ ما كتب عن المدارس الأهلية الابتدائية كالريحانيّة والجقمقيّة والنجاح وغيرها، ثم عن مكتب عنبر وعن الكامليّة، يدرك أيّ خير كان نصيب المجتمع من غراسها وإنتاجها. ويدرك أنها لم تكن مدارس «معارف» فقط، ولكنها مدارس تنشئة وتربية وتعليم، ومصانع تبني الفكر وتغذّيه، وتزرع الخير وتزيّنه في القلوب، وتزكّي النفوس وتملؤها حبًّا وإيمانًا ووطنيّة وإخلاصًا.

إنها التربيّة التي لا تفرّق بين الحريّة للأوطان والاستقامة للإنسان والعربيّة للِّسان.

هل من حرج إذا طلبت إلى القارئ الكريم أن ينقطع قليلًا عن القراءة، وأن يُغمض عينيه، ويطلق لنفسه العنان ليتخيّل ثانويةً، أيّ ثانوية في وطنه يكون على علمٍ بها وبأحوالها، ثم أن يوازن بينها وبين الثانوية الوحيدة في ذلك العصر، والتي كانت تُسمَّى (مكتب عنبر)، والتي كانت مدرسة للعلم ومنارة للهدى والتوجيه، وحصنًا للوطنية، وقلعة للصمود، ومصنعًا للرجال... ففيها رجالات من أخلص رجال الوطن وأبرزهم علمًا، وفيها الجيل الذي نهل من مرشديه ومعلِّميه الأخلاق والعلم والوطنيّة، وورثهم في إتقان العلم، وصدق الانتماء الوطنيّ. إن مكتب عنبر ميزان صحيح ومقياس دقيق معبِّر تستطيع أن تقيس به مدى وعي الشاميِّين العربيّ الثقافيّ والاجتماعي والوطنيّ والقوميّ[1].

---

(١) للاستزادة عن أخبار (مكتب عنبر) اقرأ كتاب ظافر القاسمي الذي يحمل العنوان نفسه. وكتاب (النور والنار) لمطيع المرابط. وما جاء من أخباره في ذكريات الأستاذ علي الطنطاوي.

لقد وصف الأستاذ علي الطنطاوي (مكتب عنبر) وهو واحد من طلّابه فقال «كان مكتب عنبر مثابة للعلم، وكان موئلًا للوطنيّة، وكان مصدر الحركات الشعبية، ومبعث النضال، بل كان يومئذ مجمعًا للشباب المثقَّف، ولبَّ البلد، ومصدر كلِّ حركة وطنية»[1].

ومن أراد أن يعرف أكثر مما ذكرت، فليقرأ ما كُتب عن تمثيل طلاب مكتب عنبر لرواية طارق بن زياد، بلغة عربية فصيحة، أيام لم تكن العربية حرّة على الأفواه، ولا مسموحًا بها (سنة ١٩٠٨).. وليقرأ كيف كان هذا الحدَث موضع الدهشة والتعليق وموضوع الأحاديث، بل كان شغل الناس وشاغلهم لأسابيع بعد انقضاء التمثيليّة[2].

ومن أراد أن يعرف أكثر من ذلك، وأن يعرف ما حدث في (مكتب عنبر) بعد ذلك، أيام الفرنسيين، وأيام ميسلون، وكيف انقلبت المؤسسة التعليمية إلى شبه ثكنة عسكرية حتى أصبح الطالب الداخليّ (الليليّ) ينام مع بندقيّته بعد أن كان أيام السّلم ينام مع كتابه، فلْيعُدْ إلى تلك الكتب التي تحدّثت عن تلك الأيام، وليقرأ شهادات من حضروا ومن سمعوا، ليعلم بعض ما صنع الآباء والأجداد، وما صنع العلماء والمعلِّمون، وما أبدع الأبناء والطلّاب. وما بذله الجميع من جهد ومال، وما قدّموا من فداء ودماء، حتى وصلنا نحن بفضل جهودهم إلى ما وصلنا إليه من العيش في وطن حرّ، ومن النطق بلسان عربيّ...لعلّنا إذا عرفنا بعض ما بُذل في الحصول عليه، نعرف ما يجب أن نبذل اليوم للمحافظة عليه.

---

(١) مقدمة الطنطاوي لكتاب (مكتب عنبر) للقاسمي. ص: ٢٥ و٢٧.

(٢) مكتب عنبر: ٩٩-١٠١.

لعلّنا بعد الاستقلال والتحرّر من الأجنبيّ، من تركيّ وفرنسيّ، استسلمنا لنعمة الاستقلال، ورضينا بما وصلنا إليه، واطمأنّت نفوسنا إلى الحياة الوادعة، وخَبَتْ شعلة النشاط ولم تَعدْ عندنا حوافز للعمل التحرّري والنهضويّ، ولم يَعدْ يفكّر بذلك إلّا مَن رحم ربّك، وشُغل أكثر الناشطين بما يتّصل بالسياسة والسُّلطة والحكم وتركوا الاهتمام بما عداه. لذلك رأيت أن أسجّل في آخر حديثي هذا لمحاتٍ سريعةً عن بعض الخطوات التي سارها أسلافنا من مجمعيّين ورجال إصلاح، وأقف عند بعض ما دعَوا إليه من آراء:

١- لم يمض على قيام أول حكومة عربيّة شهران أو أكثر قليلًا حتى تغيّر الهيكل الإداري (أي المِلاك الذي كان اسمه القادرو، والذي يسمّيه بعضنا اليوم الكادر) فأوجدوا في كل وزارة أو إدارة وظيفة (مُنشئ) لينشئ الرسائل والمكاتبات ويصوغ القرارات بلغة عربية سليمة واضحة، وسرعان ما زادوا على ذلك فكان عندهم: كاتب، وكاتب أساسي، ومنشئ، ومنشئ أول، ومميِّز.

ويمتاز الكاتب الأساسي عن الكاتب بأنه يتقن الكتابة على الآلة. وأما المنشئ الأول فهو رئيس الكتّاب الذي سمّي فيما بعد مميِّزًا.

وهذه أمثلة من ذلك العصر، نشرت في الجريدة الرسمية التي كانت تسمَّى (العاصمة):

- عُيّن خليل مردم بك مميِّزًا لديوان الرسائل العامة سنة ١٩١٨.
- عُيّن أنيس سلّوم في سنة ١٩١٨ مشرفًا على لغة الدواوين والمراسلات الرسمية.
- عُيّن كاظم الداغستاني منشئًا في ديوان مجلس الوزراء سنة ١٩٢٠.
- عُيّن شفيق جبري في سنة ١٩٢٠ مديرًا للرسائل في وزارة الخارجية(١). ثم

(١) جريدة (العاصمة) العدد ١٥٩ ص٣ سنة ١٩٢٠.

نُقل إلى وظيفة منشئ في وزارة المعارف.

- عُيّن عز الدين التنوخي منشئًا ثم رُقِّي في سنة ١٩٢٠ إلى مميِّز في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) ثم إلى مميِّز في وزارة الصحّة.
- عُيّن سليم الجندي منشئًا ثم أصبح المنشئ الأول في وزارة الداخليّة، ثم سمّي مميِّزًا، وصدر مرسوم بزيادة راتبه لحسن قيامه بوظيفته الموكولة إليه (كما جاء في العدد ١٢٥ من العاصمة في ١٦ أيّار سنة ١٩٢٠).

وبذلك تعرّبت دواوين الدولة، وسلمت العربية في مراسلات الدولة في الوزارات والإدارات الحكومية.

٢- كان المجمعيّون فريق عمل، يعملون معًا، ويعمل كل منهم منفردًا بما تتطلّبه منه رسالته أينما حلّ. وكانت أعمالهم جميعًا مشتركين ومنفردين تؤدي إلى غاية واحدة. أمّا في اجتماعهم فالمجمع مصدرُ حركة نشيطة، تموج الحياة من حوله، ومصدرُ لغة وثقافة متنوّعة، يجذب إليه أنظارَ مجتمعه السوري بمحاضراته، وأنظارَ العرب بمؤتمراته واحتفالاته، وأنظارَ العالم بمجلّته ورسائله إلى المجامع والجامعات الغربيّة والمحافل الدوليّة.

وأما أعمالهم فرادى فهذه لمحات سريعة عن بعضهم، لعلّها تفيهم بعض حقّهم علينا، وإني لأشهد أن الوفاء لهم اليوم عسير.

- ما عرفت خلقًا أحبَّ إليّ من الوفاء. وللوفاء صور كثيرة وأساليب متعدّدة، ومن أهمّها في القيم الإنسانية والاجتماعية، وفاء الجيل الحاضر للأجيال التي سبقته، ومهّدت له سبل العيش.. إن اعترافنا بما قام به السابقون لنا في مجال الإصلاح والتحرّر والنهضة وتقديرنا لجهودهم، ولِما تركوه لنا ممّا نعيش اليوم به وفيه وعليه، واجب علينا، ودَيْن في أعناقنا، والوفاء لهم درسٌ

لأبنائنا يعلّمهم الأخلاق الفاضلة والوفاءَ لنا ولمن تقدَّمنا.. وذلك هو سبيل تلاقي الأجيال وتواصلها، واتصال مآثرها وتاريخها.

إن كلَّ ثمرة في شجرة، أو نبتة في أرض، أو اختراع من آلة نتمتّع بها، أو لباس نرتديه، أو رغيف نأكله، يدعونا الوفاءُ إلى أن نتذكّر أنه لم يصل إلينا لولا أجيال كافحت وناضلت وعملت وجدَّت؛ فبذرت أو زرعت أو غرست، ثم رعت وسقت وشذّبت وهذّبت، وحاولت وكرّرت، وبذلت وشقيت، وصنعت ورعت، حتى وصل إلينا ما نتمتع نحن اليوم به ، وكذلك ما نعيش اليوم في جوّه من لغةٍ نتكلم بها عفوًا بلا كُلْفة، وحريّةٍ نستنشق هواءها، واستقلالٍ نَنعم بخيراته، ووطنٍ نتفيَّأ ظلاله عزّةً وكرامة، كان له جنوده وصانعوه، وكان له حرّاسه ومجاهدوه، والمدافعون عنه، والباذلون له أموالهم وجهودهم وأرواحهم في سبيل بقائه. وواجب الوفاء لهم يقتضينا أن نعرفهم وأن نعرّفهم للأجيال، ليبقى التواصل بين أجيالنا، ويستمرّ الوفاء صفة من أخلاقنا، ولنضع أمام أبنائنا القدوة الصالحة من رجالنا، لعلهم يتأسَّون بهم، ويسيرون على سنّتهم في سعي لإعلاء شأن الأمة ولغتها ووطنها، بهمّة وجهد وإخلاص.

- وسأفرد فيما يأتي صفحاتٍ لطائفة من المجمعيين؛ أخصّ كلًّا منهم فيها بحديثٍ أعرض فيه أبرز منجزاته، وأذكر أهمّ آرائه، مرتِّبًا صفحاتهم بحسب تواريخ وَفَياتهم.

ولعل القارئ يجمع تلك المنجزات، وينظر في كلّ تلك الآراء مجتمعةً، ليرى كيف كانت جميع هذه وتلك تَصبّ في حاضنةٍ واحدة هي المجتمع العربي السوريّ خاصة، والعربيّ عامّة، فكانت أسبابَ إصلاح وتَقدّم ونهضةٍ نتمتَّع نحن اليوم بثمرات غراسها ورعايتها.

إننا أمام صفحتين من تاريخنا الحديث، محفورتين في ذاكرة النصف الأول من القرن العشرين.

أمّا الصفحة الأولى، فصفحة تعريب اللسان، وتحريره من العُجمة والتتريك.

وأمّا الصفحة الثانية، فصفحة تعريب الإنسان بتحريره، وتحرير الوطن باستقلاله.

ولقد كتب الصفحتين رجال أبرار من العلماء المجمعيّين، والأساتذة الجامعيّين، ودعاة الإصلاح من الوطنيِّين، وكان لكلٍّ منهم نشاطه الفكري واللغويّ والاجتماعي والوطنيّ، وكانوا على اختلاف عقائدهم وأهوائهم، وانتماءاتهم ونزعاتهم واختصاصاتهم، يجتمعون تحت سقف العربيّة الفصحى، توحِّد بينهم، وتجمع شملهم، وتمهّد طريقهم إلى وحدةٍ وطنيّة صادقة، ووحدةٍ عربية جامعة.

لقد عاشوا هَمَّ الأمّة في لغتها، وأدركوا أن أولى مسؤوليَّاتهم أن يضعوا لغة الأمّة موضعها الصحيح على ألسن الناس وأقلام الكتَّاب، وأن يُحيوا التعبير العلميّ بالعربيّة، أو أن يُطوّعوا العربيّة لتكون لغة العلم، فكانت كما أرادوا لها أن تكون لغةَ العلوم القانونية بجميع فروعها، ولغةَ العلوم الطبيّة بجميع تخصّصاتها... وكانت على أيدي أولئك الرجال نهضة لغوية غير مسبوقة، وما يزال أثرها إلى الآن؛ فما ذُكر التعريب إلّا ذُكرت سورية وجامعاتها، وذكر إصرار علمائها على جعل العربيّة قادرة على مواكبة العصر، ومسايرة التطوّر، والتكلّم بلسان العلم، لئلّا تكون الحضارة والتقدّم في واد، ولغتنا في وادٍ آخر. إن علينا – كما كان عليهم – أن نجعل لغتنا لسان حضارة، لئلّا تختلف لغة الأمّة عن لغة الحضارة، وعلينا أن نتابع السير في الطريق الذي رسموه ومهّدوه

لنا حين فرضوا في عصرهم اللغةَ العربية لسانًا علميًّا يساير التقدّم العلميّ المتسارع في العالم. كما أن علينا أن نسير على نهجهم، وهم الذين استطاعوا – على قلّة إمكاناتهم – أن يجعلوا المجمع العلميّ العربيّ محورَ أحاديث الإعلام العربيّ، يتحدّث في إذاعاته وصحفه ومجلّاته، ولأيّام كثيرة، عن الاحتفالات الثقافيّة العربيّة التي هزّ المجمعُ العربي الدمشقيّ بها سَمْعَ الوطن العربيّ من مشرقه إلى مغربه.

– وإذا تحدثت عن رجالٍ كانوا مِن أبرز مَن مرّت معي أسماؤهم وإنجازاتهم ومشاركاتهم في ميادين النهضة والإصلاح، ومعارك الصراع والتحرير، من مجمعيين وجامعيين، ومن العاملين في مجالات الإصلاح الاجتماعي والنشاط الوطني والقوميّ.. فلا شك أن هناك آخرين كثيرين ضاقت عنهم محاضرتي، ولم يتّسع لهم الجهد أو الوقت، وآخرين ندّت عني أسماؤهم جهلًا مني بهم، أو سهوًا أو نسيانًا. رحم الله الجميع، وأجزل مثوبتهم لقاء ما عملوا وما قدّموا، وجعلهم ممّن قال فيهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وإني لَأحيِّيهم بما حيّاهم به أستاذي سعيد الأفغاني، فهو واحد من كثيرين عرفتهم وسمعت منهم الكثير عن ذلك العصر وهم شهوده، عاشوه وعرفوا رجاله، وشهدوا أحداثه. فالأستاذ الأفغاني دخل المدرسة الابتدائية في العهد الفيصلي سنة ١٩١٨، ثم كان من طلاب مكتب عنبر، ثم دخل مدرسة الآداب العليا سنة ١٩٢٩، وحاز شهادتها سنة ١٩٣٢، فهو شاهدٌ على ذلك العصر. وقد قال في تقديم كتابه (ص١١) «حاضر العربية في الشام»:

«فلتكن هذه الصفحات تحيّة متواضعة لأولئك الروّاد المغاوير الصابرين

المرابطين، من العلماء والأساتذة ومن المناضلين الذين لاقَوْا في سبيل الحق ما لاقوا، فاستهانوا بالموت والتعذيب والسجن والتشريد، ليُؤَدّوا الأمانة ويحفظوا العهد.

رحم الله شهداءهم الأبرار، وتغمّد بالرضوان مَن سبق إلى رحمته، وأمتع بالسعادة والهناءة مَن بقي حيًّا إلى يومنا هذا. والسلام عليهم جميعًا من كلِّ ناطق بالضَّاد، ورحمة الله وبركاته.»

٢٠ المحرم ١٣٨١هـ

٢٧ / ٨ / ١٩٦١م

❋ ❋ ❋

الشيخ طاهر الجزائري

١٢٦٨ - ١٣٣٨هـ

١٨٥٢ - ١٩٢٠م

ما عرفت أحدًا من روّاد النهضة والإصلاح ممن عاش في العقدين الأوَّلين من القرن العشرين جمع ما جمع الشيخ طاهر من شهادات الإعجاب، أو حاز ما حازه من ثناء معاصريه وعارفيه، ومن كتاباتهم عن أثره في نفوسهم وما بلغه في نفوس مَن عرفوه وأرشدهم أو صحبوه ووجَّههم.

لذلك لن أقف في هذه السطور عند حياته ومراحلها، وعمّن أخذ عنهم، أو عند أماكن إقامته في الشام ومصر، أو المدن التي زارها وتنّقل بينها، ولكني سأكتفي بذكر منجزَات قام بها، وشهادات حصل عليها من رجالات عصره.

أما منجزاته وأعماله فمنها أنه :

- أنشأ المكتبات العامّة أو شارك في إنشائها وزوّدها بالكتب كالظاهرية بدمشق والخالدية بالقدس.
- وهو أول من افتتح مدارس للبنات في دمشق، وشجّع على إنشاء المدارس عامّة.
- وهو الذي نجح في إقناع الوالي العثماني مدحة باشا بجعل التعليم الابتدائي باللغة العربيّة، والسّماح بافتتاح المدارس الأهليّة.
- وألّف الكتب المدرسيّة في الموادّ المختلفة بأساليب حديثة مبتكرة.

- ودعا إلى تعلّم اللغات الأجنبيّة.
- ودعا إلى تعلّم العلوم العصريّة.
- ودعا إلى إدخال تعليم مبادئ الصناعات في المدارس الابتدائية.
- ودعا إلى إحياء التراث، وكان يرشد زملاءه وطلّابه إلى الكتب المخطوطة التي يجب أن تُحقَّق وتُنشر.
- ودعا إلى الاقتباس من الغرب بما لا يتنافى وخصوصيّة أمّتنا.
- ودعا إلى أن يكون للمختصّ بالشريعة موردٌ خاصّ يعيش منه لئلا يكون خاضعًا للأوقاف أو للسلطة.
- وكانت له حلقات مختلفة للتوجيه والإرشاد. وتخرّج به رجال أعلام كان كل منهم بارزًا في مجاله، منهم: جمال الدين القاسمي – عبد الرزاق البيطار – سليم البخاري – رفيق العظم – محمد كرد علي – فارس الخوري – فخري البارودي – عبد الرحمن الشهبندر – محبّ الدين الخطيب – سليم الجزائري – عبد الوهاب المليحي (الإنكليزي) – وسعيد الباني.

ومن أقواله:

«اكرهوا الاستعمار أشدَّ كره، وأحبُّوا المدنيّة أشدَّ حُبّ»

«تعلّموا لغات الغرب»

«تعلّموا العلم وتعلّموا معه صناعة تعيشون بها؛ حتى لا تقفوا على أبواب السلطان تستجدون الوظائف والجِرايات.»

«إنّ العِلم الإسلاميّ يُطلب لذاته ولفائدته في الدارَين، لا للتكسُّب به عند السلاطين والحكومات.»

وقال في رسالة بعث بها إلى تلميذه وصديقه محمد كرد علي بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣٢٨هـ:

«إن الاقتباس من الأمم الراقية دليل على النباهة، لا كما يظن البُلْهُ من أن الاقتباس غضاضة. ونريد بالاقتباس ما يُشعر به هذا اللفظ من تلقّي الأمور النافعة، لا كما يظنّه المتكايسون من أن الأمم الراقية ينبغي أن يؤخذ عنها كلُّ شيء، حتى أدَّاهم الأمر إلى أن يقلّدوهم في الأمور التي يودّون هم أن يخلصوا منها.»

ومن أقواله:

«لا فائدة اليوم من التأليف: إلّا إذا أتى المؤلِّف باختراع جديد، أو أبدع بأسلوب جديد».

وقال محبّ الدين الخطيب عن الشيخ طاهر: «إنه مؤسس كلّ ما تأسس في سورية ولبنان وفلسطين من مدارس أميرية زمن ولاية مدحة باشا، وولاية حمدي باشا. وقد تمكّن بدهائه أن يجعل العربية لغة التعليم إلى أن غُلب على أمره وكُفَّت يده وجعل التعليم فيها بالتركية»[(١)]، وعزا الخطيب معرفته بالعروبة والإسلام إلى الشيخ طاهر.

وقال فخري البارودي عن الرجال الذين كانوا يُفتِّحون عيون الشبّان «وعلى رأسهم شيخ أحرار العرب في ذلك الحين الشيخ طاهر المغربي الجزائري، وهو شيخهم وشيخنا، وله أكبر الفضل في تنوير الأبصار والبصائر، ودفع العرب في طريق التقدّم، وهو أول من فتح مدارس البنات في دمشق»[(٢)] «وإذا كان من فضلٍ عليّ لأحدٍ في توجيهي من الناحية الوطنيّة، فهو أولًا للشيخ طاهر الجزائري المغربي أستاذنا، وإلى تلامذته الأحرار»[(٣)].

---

(١) كتاب «الشيخ طاهر» د. عدنان الخطيب: ٤٢و٨٧.

(٢) مذكرات البارودي ١: ٥٨.

(٣) مذكرات البارودي ١: ٧٩.

وقال أنور الجندي «والحق أن الشيخ الجزائري العملاق لم يكن قويّ الأثر في هذه المجموعة من رجال الشام وحدها، ولكنه كان عميق الأثر في المجموعة التي عرفها وعاشرها في القاهرة، وقد ألهب وجدان من عاشروه، وخاصة الأحمدان: أحمد تيمور، وأحمد زكي باشا، الملَّقب بشيخ العروبة»[1]. وقال «أعتقد أننا في مصر - جماعة المفكرين - علينا دَيْن كبير لأمثال الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي ومصطفى الشهابي، رحمهم الله جميعًا وأجزل مثوبتهم»[2] وقال الأستاذ الجندي بعد أن اعترف بفضل الأسرة الشاميّة التي كان لها في الصحافة والثقافة أعظم الأثر «إن الشيخ كان بمثابة العروة الوثقى لهذه الجماعة التي جدّدت الفكر، وجدّدت السنّة، وأقامت منهج الفكر الإسلامي الحديث على أصوله الأصيلة، ووفق جوهره الأمثل»[3].

وقال العلامة أحمد زكي باشا عن الشيخ طاهر «إنه الأثر الباقي والمثال الحيّ والصورة الناطقة لِما كان عليه سلَفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراية في كلِّ المعارف الإسلامية، وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتمحيص واستثارة خباياها وإبراز مفاخرها»[4].

وشهد الأمير مصطفى الشهابي أن حلقة الشيخ طاهر هي أكبر حلقة تجمع صفوة النبهاء والمفكّرين العرب، وتألَّفت من جمعهم أكبر حلقة أدبية وثقافية.

وقال كرد علي «أستاذنا الشيخ طاهر في هذه الديار- الشام- كالأستاذ الإمام محمد عبده في مصر؛ فلقد سعى الشيخ طوال حياته لنشل المسلمين من

---

(١) مهرجان ذكرى مرور مئة عام على ولادة الأستاذ الرئيس: ١٦٠.

(٢) المصدر السابق: ١٧٦.

(٣) المصدر السابق: ١٥٩.

(٤) كنوز الأجداد: ١٥.

سقطتهم ونشر العلوم بين أبنائهم، ولولا ما قام به من التذرّع بجميع ذرائع الإصلاح لتأخرت نهضة المسلمين في الشام أكثر من نصف قرن»[1].

* * *

(١) الشيخ طاهر : ١١٦. وهناك شهادات أخرى كثيرة أثبتُّها في مقدمة كتاب أشهر الأمثال للشيخ طاهر، وقد حققتُه ونشرتْه دار الفكر بدمشق سنة ١٩٩٥ ثم ثانية سنة ٩٧.

إلياس قدسي

١٨٥٠- ١٩٢٦م

هو دمشقيّ ولادة ونشأةً، وابن أسرة مُنعمة، انصرف إلى العلم، وتعلّم في لبنان وفي اليونان، وأحبّ اللغات ولاسيَّما العربيّة، وأتقن الفرنسية والإنكليزية واليونانية. اهتمّ بالأدب والاجتماع، وقدّر حاجة النشء إلى الوعي العربي والتاريخي، فألّف الروايات والتمثيليّات المدرسيّة، وكتب المقالات، ونظم الشعر.

امتاز بحسن صلاته بالمستشرقين، وكان لسانًا عربيًّا صادقًا في الندوات والمؤتمرات الدولية.

خاطب العامّة أحيانًا بلغتهم، ولكنه كان يعشق الفصحى، ويدافع عنها، ويدعو إليها، وعشق العلم والتعليم، وكان من دعاة الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي، وشعاره قوله «على العالِم أن يكون مفيدًا».

وكان للأستاذ القدسي عمل جدير بالذكر والشكر، ذلك هو ما كتبه بتكليف من المجمع العلمي العربي «مجمع اللغة العربية» في الردّ على الدّعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينيّة ! كما أحسن في وضع قائمة تبيِّن للأوربيِّين، ولغير العرب عامّة، كيف ينطقون بالحروف العربيّة[١].

* * *

---

(١) للاستزادة ينظر كتاب «الأديب المجمعي إلياس عبده القدسي» تأليف: أيهم ميشيل بطحوش. الصادر عن مجمع اللغة العربية سنة ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

سليم عنحوري
ت ١٩٣٣م

هو من أوائل أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، وواحد من أعلام الثقافة في عصره، أتقن العربية والفرنسية والتركيّة، وكان من أكثر المجمعيّين نشاطًا في ملاحقة الأخطاء اللغوية، ونقد أصحابها ومرتكبيها. واشتهر بردّه العلميّ الحكيم على الَّذين طالبوا بإلغاء حركات الإعراب. كما عُرف بدفاعه المجيد عن الفصحى، ونقده للَّذين يشوّهون اللسان، ويُقوِّضون البنيان، وكان يحذّر من خطر إذاعة الخطأ! ويقول: «ليس أحد أقدر من الإعلام على ترسيخ الخطأ وتعميمه، أو لَجمه وتقويمه.»

وقد أسّس العنحوري جريدة «مرآة الشرق» التي كانت صدًى لآرائه وآماله الوطنيّة، وأفكاره الإصلاحيّة والتحرّريّة. وكان كثير الإزراء بالّذين يفاخرون بمعرفة اللغة الأجنبيّة، وهم لا يتقنون لغة أمّتهم !! ويقول في ذلك:

يا مَن غدا لِلُغاتِ العُربِ مُتَّركًا   ومَن طِلابُ لُغاتِ العُجم مِن صفتِهِ
ما فَخْرةُ المرءِ إنْ عَمَّت معارفُه   كلَّ اللغات، وكان الجهلُ في لغته؟!

وظلّ العنحوري يكتب ويكافح من أجل تنقية اللسان وتحرير الإنسان، حتى وافاه أجله سنة ١٩٣٣م.

ومن الجدير بالذكر أنه كان على صلة بعلماء مصر وسورية ولبنان، كآل البستاني، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعلي باشا مبارك. وأنه وضع كتبًا

سطع بها نجمه، ونال عددًا من الأوسمة، وكان له نشاط في المجلّات، ينشئها ويكتب فيها. ومن أشهر آثاره «كنز الناظم ومصباح الهائم» و«القلائد الدريّة في فرائد العربية» و«عكاظ»، وهو موسوعة تاريخية وأدبية ولغوية، عن العرب وتاريخهم ولغتهم. وله مسرحيّات وروايات، وله شعر جيّد في موضوعات كثيرة، وامتاز بوصف المخترعات الحديثة كالسفينة والقطار و«حيتان إبليس» أي الغوّاصات، ودعا إلى تعليم المرأة، وإلى الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي(١).

* * *

(١) للاستزادة ينظر مقال د. لبانة مشوّح. في مجلة المجمع. المجلد ٨٥ ج١ ص ٢٥٤.

الشيخ سعيد الكرمي

١٢٦٩ - ١٣٥٣هـ

١٨٥٢ - ١٩٣٥ م

عربيّ فلسطينيّ، ولد في طولكرم، وتعلّم في الأزهر، وبقي في مصر سنوات كان خلالها على صلة بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

تولّى قضاء طولكرم، ونشط في حزب اللامركزيّة فقبض عليه وسيق إلى عاليه بلبنان وحكمت عليه المحكمة العرفيّة بالإعدام، ونظرًا لتقدّمه في السنّ، استُبدل السّجنُ المؤبَّد بالإعدام. وبقي في سجن دمشق سنتين وسبعة أشهر ثم أفرج عنه سنة ١٩١٨ فبقي بدمشق، وفيها استعانت به الحكومة العربية في شعبة الترجمة والنشر التي أصبحت (ديوان المعارف) ثم حُوِّلت إلى (المجمع العلميّ العربيّ) فكان الشيخ الكرمي من أعضائه المؤسِّسين، ثم كان نائبًا لرئيس المجمع مدَّة امتدّت من ١/ ١٠/ ١٩٢٠ إلى ٣٠/ ٤/ ١٩٢٢.

وانتقل الكرمي بعد سنتين ليتولّى القضاء في عمّان، وليكون رئيس مجلس المعارف فيها. وكان يتنقّل في البلاد الشاميّة كلّها والحجازيّة، وكان موضع تكريم في كل البلاد التي نزل بها، ومنح أوسمة الشرف والتقدير في أكثر البلاد التي عمل بها، وعدّ من روّاد النهضة ودعاة الإصلاح.

مات في طولكرم، وقد ترك عددًا من الكتب والرسائل، وكتب في مجلة المجمع بدمشق مقالات تشهد بعلمه وفضله، كما كان له شعر حسن النظم، قال بعضه حين كان في السجن. وهو والد الأستاذ حسن الكرمي، والشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى).

الشيخ أمين سويد[1]

١٢٧٣ - ١٣٥٥هـ

١٨٥٥ - ١٩٣٦ م

من ألمع شيوخ الشام في عصره، وهو دمشقي برع في الفقه وأصوله، واللغة وعلومها، ورزق محبّة العامّة وطلّاب العلم.

تلقّى العلم عن الشيخ عبد الغني الغُنيمي، والشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ سليم العطّار، والشيخ محمد الطيّب، وغيرهم. ثم انتسب إلى الأزهر، وعاد بعد تخرّجه إلى دمشق وجلس للتدريس فيها. وكان مجلسه في دار الحديث محجّة لطلاب العلم. وكان شديد الاهتمام بأحوال العالم الإسلاميّ؛ فطاف البلاد التركيّة والإيرانية والهندية واليمنيّة والمغربيّة. وأقام في القدس ودرّس فيها.

وحين قامت الحكومة العربية بدمشق، استدعته وكلَّفته مع مَن كلَّفتهم رعاية شؤون اللغة العربيّة، ونشر الثقافة اللغوية، وعيَّنته عضوًا في لجنة الترجمة والتأليف، التي أصبحت ديوان المعارف ثم حُوِّلت لتصبح المجمع العلميّ العربيّ، فكان الشيخ أمين من مؤسّسيه الأوائل، ولكنه لم يكن يتخلَّى أبدًا عن نشاطه الإصلاحي والتدريسي في بلاد الشام كلها، فكان كثير السفر إلى المدن السورية واللبنانية والفلسطينيّة والأردنيّة، وإلى الحجاز والهند.

---

(١) للاستزادة ينظر الكتاب الذي يحمل اسمه، تأليف خير الله الشريف. وهو من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.

وعُهد إليه التدريس في معهد الحقوق سنة ١٩٢٣، ثم التدريس في دار المعلمين بالقدس، ثم التدريس بمكة المكرّمة، ثم التدريس في بومباي بالهند.. وكان يعمل جاهدًا في افتتاح المدارس في كل بلد يحلّ فيها.

إنه كوكب عربيّ دمشقي، طارت سمعته وشعّت أنواره في عصره حتى عمّت معظم البلاد العربية والإسلاميّة، وكانت له في كلّ منها آثار مشهودة. وكثر طلّابه والمنتفعون به، وكان من أبرز طلّابه في دمشق أبو الخير الميداني، والسيد محمد مكي الكتاني، وعبد الوهاب دبس وزيت، ومحمد الهاشمي، وعبد القادر المبارك وغيرهم، وكلّ منهم كان عَلَمًا في اختصاصه.

***

الشيخ عبد الرحمن سلام

١٢٨٥-١٣٦٠هـ

١٨٦٨- ١٩٤١م

الشيخ عبد الرحمن سلام (بتخفيف اللَّام) عربيّ فلسطينيّ الأصل، لبناني المولد، عاش في دمشق وحمص والقدس، ومات في بيروت.

تقلَّبت بالشيخ ظروف الحياة وأحوالها، واستطاع بفضل استقامته وعلمه وثقافته ووطنيّته أن يكون واحدًا من شيوخ مكتب عنبر، وأن يكون عضوًا عاملًا في المجمع العلمي العربي بدمشق.

برز في ميادين العلوم الشرعية والعربيّة، فكان قاضيًا شرعيًّا، وخطيبًا طَلْق اللسان لا يُجارى، وعُرف بوطنيّته الصادقة، وبشجاعته وجرأته وصراحته. وكان ذا أثرٍ في كلِّ من اتصل به من معارفه وزملائه وطلّابه.

أمّا في العربيّة، وتقريبها للطلَّاب، وغرس حبِّها في قلوبهم، فقد شهد بذلك تلميذه علي الطنطاوي وقال: «إن الشيخ عبد الرحمن سلام كان نادرة الدنيا في طلاقة اللسان، وفي جلاء البيان، وقد عرفتُ مِن بَعده لُسُنَ الأدباء ومصاقع الخطباء، فما عرفت لسانًا أطلق، ولا بيانًا أجلى.»

وأما في الوطنيّة فقد قال تلميذه أدهم الجندي إنه كان يعلِّم الأدب العربيّ، ويغرس في نفوس طلّابه حبَّ الوطن وتمجيده.

وقال عنه ظافر القاسمي: «وكان شاعرًا مُبدعًا رقيقًا، وعالمًا ضليعًا، وإنه

كان يحبِّب الطلّاب بلغة العرب.»

لقد كان الشيخ سلام واحدًا من صانعي الرجال في الأدب والوطنيّة، أثنى عليه أعطرَ الثناء تلامذتُه الذين كان منهم في سورية علي الطنطاوي، وسعيد الأفغاني، وزكي المحاسني، وجميل سلطان، وأنور العطّار، وجمال الفرّا، وأمجد الطرابلسي، وأبو سلمى عبد الكريم الكرمي. وفي لبنان مصطفى الغلاييني، وبهيج عثمان، وغيرهم من الرجال الذين شاركوا في ثقافة الوطن وتحرّره.

وإن ما قاله كلٌّ من علي الطنطاوي وظافر القاسمي ومطيع المرابط فيما كتبوه عن مكتب عنبر، يشهد بأن تلك المدرسة الثانوية كانت معقلًا من معاقل الفصحى، وحصنًا من حصون الوطنيّة. وإن الذين كانوا طلابًا في مكتب عنبر هم الذين أصبحوا فيما بعد نواة الحركات الوطنيّة التي أثمر جهادها، وآتت أُكُلَها يوم الجلاء العظيم.

وأضيف إلى ما قالوه أن منهم الذين أصبحوا فيما بعد أساتيذ الأدب العربيّ واللغة العربيّة في مدارس الوطن ومعاهده العليا، وكان منهم الأدباء والشعراء.

وأختم حديثي عن الشيخ عبد الرحمن سلام بما وصف به الطنطاوي أحدَ مواقفه الوطنيّة، وهو قوله: «ولستُ أنسى خطبته حين أطلَّ من شُرفة النادي العربيّ، قبل يوم ميسلون، على بحرٍ من الخلائق، تموج مَوَجان البحر، قد ملأ ما بين محطّة الحجاز والمستشفى العسكري، في بوَابة الصالحيّة وسراي الحكومة- ولم يكن قد فُتح شارع بغداد- وحديقة الأمّة (المنشيّة)، وكبَّر تكبيرةً، ردَّدتْها معه هذه الحناجر كلُّها، وأحسسْنا كأنْ قد ردَّدتْها معه الخمائل من الغوطة، والأصلاد من قاسيون، ثم صاح صيحته التي لا تزال ترنّ في أذني من وراء ثلاث وأربعين سنة، حتى كأني أسمعه يصيح بها الآن «غورو، لن تَدخلَها إلّا

على هذه الأجساد».

ذلكم هو الشيخ المجمعيّ، والفقيه المجاهد، والخطيب الأديب، والوطنيّ الصادق، والشاعر الرقيق، وعاشق الفصحى، عبد الرحمن سلام[1]، عليه ألف سلام.

* * *

---

(١) للاستزادة من أخباره وسيرته ينظر: كتاب (مكتب عنبر) لظافر القاسمي، ومقدّمته لعلي الطنطاوي، وكتاب (النور والنار في مكتب عنبر) لمطيع المرابط، والكتاب الذي وضعه عنه إياد الطبّاع، وأصدره مجمع اللغة العربية بدمشق.

رشيد بقدونس

١٢٩٢- ١٣٦٢هـ

١٨٧٥- ١٩٤٣م

دمشقي من حيّ الصالحيّة، كان أبوه معلّمًا في إحدى المدارس الابتدائية في ذلك الحيّ الدمشقيّ القديم. لم يكد ينهي تعليمه الابتدائي حتى انتسب إلى المدرسة الرشدية العسكرية ثم إلى الكلية الحربية باستانبول، وبدأ عمله بعد ذلك ملازمًا في الجيش.

عُرف رشيد بقدونس بثقافته العسكرية والتاريخيّة، كما عرف بحبّه للعرب واندفاعه الوطنيّ والقوميّ.

- عمل ضابطًا في الجيش العربيّ. ومعلّمًا للتاريخ في مكتب (عنبر) أيام الفرنسيّين.
- وشارك رشيد بقدونس في التعريب، وضعًا للمصطلحات في لجنة التعريب، وترجمة ونشرًا للكتب[1]. وكان يتقن التركية والفرنسية واليونانية، ويعرف الفارسية.
- وشارك في (حزب العهد) السرّي الذي أسَّسه عزيز المصري سنة ١٩١٣، وكانت غايته استقلال البلاد العربية ووَحدتَها.
- وأنشأ مدرسة ليليّة في حيّ الصالحيّة، سنة ١٩٣٢ لمحاربة الأميّة، وافتتح

(١) ترجم كتاب «تعليم المشاة». انظر مجلة المجمع. المجلد / ٨٢ ج٢ ص٢١٩و٢٢٧.

لها فرعًا نهاريًّا للأيتام والصغار، وهي مدرسة خيريّة مجانية.

- وشارك في المؤتمر القوميّ العربيّ الذي عُقد في بلودان سنة ١٩٣٧.

- وكان رشيد بقدونس معروفًا بجرأته، وعنفه في مهاجمة الانتداب والاستعمار، واندفاعه في نشر الوعي الوطني والقومي بين الطلّاب. وقد هاجم فكرة الانتداب في أحد دروسه في مكتب عنبر، كما هاجم فكرة الظلم في أن يُفرض على الشعب ما لا يريد، فقال أحد الطلّاب بحجّة الخوف على الأستاذ: يا أستاذ دعنا من هذا الحديث، فما كان من الأستاذ بقدونس إلّا أن صاح بأعلى صوته «اذهب إلى (غورو) وقل له إن رشيد بقدونس يعلّم الطلّاب الوطنيّة. وقد روى الأستاذ ظافر القاسمي هذه الحادثة بالتفصيل، ووصف الأستاذ بقدونس بالبطل القومي، وقال: «إن صيحة بقدونس في ذلك الجوّ تعدل قصفة مدفع ضدّ الاستعمار في هذا اليوم.» وجعل تلك الصيحة وأمثالها مما هيّأ ليوم الجلاء[1].

- وكذلك كان المجمعي رشيد بقدونس من أبطال التعريب؛ فقد رأس لجنته نيّفًا وعشرين سنة، وكان معه فيها عبد القادر المبارك، ومراد الاختيار.

- ورأس لجنة كانت مُهمَّتها تعريف المواطنين بأهميّة اللغة العربية، ونشرها بين طلاب المعاهد العليا، وكان من أعضائها: سليم الجندي، ومرشد خاطر، ومصطفى الشهابي، وحمدي الخيّاط، وأسعد الحكيم، وجميل صليبا، وصلاح الدين الكواكبي، وأمين المعلوف.

- وكان كثير النشاط، جريئًا في أقواله وأفعاله، وبذلك جرّ على نفسه الشقاء والملاحقة، وما يتبع ذلك من نفيٍ وحرمان.

---

(١) ينظر «مكتب عنبر» ص ١٠٦ و١٠٧.

- وللأستاذ بقدونس اقتراحات، ما زلنا إلى اليوم نتمنّى لو نُنفِّذها، تتعلّق بوضع المصطلحات، وبأسلوب توحيدها، وتعميمها، كما تتّصل بالعمل المجمعيّ الموحَّد في الوطن العربيّ، واقتراحات أخرى تتّصل بتعلّم الصناعات، ولاسيّما العسكريّة[١]!.

وقد أثبتُّ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[٢] نصوص الرسائل التي كان رشيد بقدونس يُوجِّهها إلى الجهات المعنيّة والسلطات الرسمية مطالبًا (بتوحيد التعابير العسكرية) ومبيِّنًا خطورة تعدّد المصطلحات، وداعيًا إلى توحيد اللجان التي تضعها، كما بيّنت ما ذكره عن قيام أعضاء لجنته (لجنة التعريب) ومن يساعدهم موضّحًا ما قام به كل منهم، فلقد كانت اللجنة مؤلفة من رشيد بقدونس وعبد القادر المبارك، ومراد الاختيار، وكان يساعدهم نخلة زريق، وتحسين الفقير، وعارف التوّام.

ولا شك أن ما قامت به تلك اللجنة هو الذي جعل سورية الرائدة في ميدان وضع المصطلحات العسكرية باللغة العربية، كما قال اللواء محمود شيت خطّاب[٣]. وكان رشيد بقدونس من أكثر العاملين بحيّوية ونشاط وتضحية في سبيل التحرّر العربي وطنًا ولسانًا، وكان شعاره «إن العلم لا يكفي وحده للتخلّص من الأسْر، إذ لا بدّ معه من الأخلاق»[٤].

* * *

(١) للاستزادة ينظر في مجلة المجمع المجلّد ٨٢ ج٢ ص٢١٩ و٢٢٦ و ٢٤٨.

(٢) مجلة المجمع، المجلد ٨٢ ج٢ ص٢١٩- ٢٤٨.

(٣) مجلة المجمع، المجلد ٨٢ ج٢ ص٢٢٦.

(٤) للاستزادة ينظر الكتاب الذي وضعه زهير رشيد وأصدره المجمع سنة ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م باسم «رشيد بقدونس».

عارف التوام

١٢٧٩ - ١٣٦٥هـ

١٨٧٨ - ١٩٤٥م

ولد في دمشق القديمة، ونشأ في حيّ باب البريد، قريبًا من المدرسة العادليّة، والمسجد الأمويّ، وضريح صلاح الدين. وتعلّم في المدرسة (الجقمقيّة) وهي عند الباب الشماليّ للمسجد الأمويّ. ثم انتسب إلى (الرشديّة العسكريّة) وأتمّ دراسته العسكرية في استامبول، وتخصّص بسلاح المدفعيّة، وأصبح من أشهر العسكريين في الرمي بالمدفع.

خدم في الجيش العثماني، ثم في الجيش العربيّ، وخاض عدّة حروب، ورقِّي حتى وصل إلى رتبة (قائمقام). ومارس التعليم في فترات من حياته؛ فعلّم في اليمن، وعلّم في دمشق، وكان بارعًا في الرياضيّات والتاريخ.

كان زميلًا للأستاذ كرد علي في المدرسة الابتدائية، وقد أثنى عليه وذكر ما يتصف به من جدّ وكمال خُلُق، وأفرد له مقطعًا في مذكّراته بعنوان «من أترابي»[(١)]، وكان على صلة بعلي رضا الركابي، فقد جمعت بينهما جمعية (العهد) السريّة التي أسسها الفريق عزيز علي المصري، والتي كانت تستقطب العسكريين العرب وتنادي بالعروبة ردًّا على حزب تركيا الفتاة.

وما إن دخل الأمير فيصل دمشق وعيّن علي رضا باشا الركابي حاكمًا حتى

(١) محمد كرد علي، المذكرات ٥: ٥٨١.

أصبح التوّام قائد سلاح المدفعية، ورئيسًا لهيئة تسليح الجيش. وشارك في معركة ميسلون، ودعا رفاقه عقب المعركة إلى اجتماع في داره بباب البريد لوضع خطة لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وحضر الاجتماع ممثلون عن أحزاب العهد، والاستقلال، وسورية الفتاة، والميثاق، وتتالت الاجتماعات في دار البكري، ودار الشرباتي، وتألفت على أثر ذلك الهيئة العليا للثورة، وحضر ممثلو دمشق وجبل العرب والغوطة والقلمون، وكان التوّام من بينهم، وأعلنوا الثورة السورية المسلّحة. وكان التوّام رسول الثورة وموفدَها إلى الشريف حسين ملك الحجاز لطلب العون للثورة السورية. وعرض الملك على التوّام أن يبقى عنده فاعتذر بحجّة عزمه التفرّغ للعمل الوطنيّ في دمشق. وفي دمشق لاحقه الفرنسيون وحكموا عليه بالإعدام فهرب لاجئًا إلى لبنان.

وكانت للتوّام مشاركات نشيطة في العمل الخيريّ والاجتماعي؛ فلم ينضمّ إلى حزب من الأحزاب، ولكنه أسس مع أصحابه جمعية النداء الخيري التعليمي، وهي جمعية خيريّة لتعليم الأميّين بالمجان، كما ذكر الأستاذ كرد علي[1].

وشارك في تأسيس جمعية التمدّن الإسلامي.

وكان في مقدّمة الرجال الوطنيّين الذين طالبوا بتسلّم الجيش السوري من السلطة الفرنسية، إذ دعا إلى اجتماع عقد في بيته (بالجسر الأبيض) في سنة ١٩٤٤، وضمّ عددًا كبيرًا من رجال الأحزاب الوطنيّة والمستقلّين، وانطلقت من ذلك الاجتماع كلمة التوّام التي كانت لنا – نحن معاشر الطلاب- شعارًا نهتف به في المظاهرة التي انطلقت من ثانوية الهاشمي تنادي بتسلّم الجيش هاتفة بكلمة التوّام «ما في عيش بَلا جيش، وبَلا جيش ما في عيش».. وكنت

(١) محمد كرد علي، المذكرات ٥: ٥٨١.

واحدًا ممن فوّض إليهم الطلاب المتظاهرون مقابلة الرئيس القوتلي لإبلاغه نداء الطلّاب وإرادة الشعب بتسلّم الجيش ليستكمل الوطن استقلاله.

ولم يكن العمل الوطني ليشغل التوّام عن العمل الاجتماعي أو الثقافي، فلقد كان يشارك زملاءه في ذلك كلّه، منذ كانت تستعين به لجنة التعريب التي شكّلها علي رضا الركابي؛ وقد ذكر رئيسها رشيد بقدونس أن (عارف التوّام) ألّف مختصرًا في فن الرمي[1].

وأختم الحديث عن الوطني والعسكري والمعلّم عارف التوّام بالقول إنني ما سمعت أحدًا تحدّث عنه من زملائه أو أصحابه أو عارفيه إلّا وكان حديثه عنه حديث حبّ وإعجاب، وثناء على خُلُقه، فلقد خاض الرجل الحياة بميادينها العسكريّة والمدنيّة، بحربها وسلمها، وبساحاتها الثقافية والسياسية والاجتماعية..؛ فلقد ترجم وكتب المقالات، وألّف الكتب، وشارك في اللجان، وشارك في كل ما دعاه إليه الواجب، وكان مثالًا للصدق في الوطنيّة، والإخلاص في العمل، والإتقان في الاختصاص، إلى أدب جمّ، ولين في حزم، ومن أراد الاستزادة فليقرأ ما قيل في حفل تأبينه الذي أقيم في المجمع العلمي العربي في ٢٢ شباط سنة ١٩٤٦.

* * *

(١) مجلة المجمع، المجلد ٨٢ ج٢ ص٢٢٥.

عبد القادر المبارك

١٢٩٣- ١٣٦٤هـ

١٨٧٦- ١٩٤٥م

كان المبارك من أوائل المجمعيّين، ومن أكثر اللغويّين شهرة في عصره، ولم يكن المجمع يوم أنشئ ليجمع أولئك الرجال الذين ضمّهم الأستاذ كرد علي إليه وإلى المجمع، بل لكلٍّ منهم صلته به، وصلتهم بعضهم ببعض قبل ذلك.

فالمبارك كان زميلًا للأستاذ كرد علي في مدرسة (الحبّال) الابتدائية التي أسّسها الشيخ محمد والد عبد القادر المبارك في حيّ القيمرية بدمشق القديمة، واستمرّت الصلة بين الزميلين، ووثّق صلتهما بعد ذلك عملٌ مشترك، قبل تأسيس المجمع وبعده، كذلك وثّق العمل في (مكتب عنبر) صلة كل من المبارك وسلام والجندي ثم البزم، بعضهم ببعض قبل أن يوثقها المجمع.

وكان أول عمل للشيخ المبارك تأسيسه مدرسة في حيّ العمارة بدمشق سمّاها «مدرسة النجاح» ثم غيّر اسمها إلى «المدرسة العربيّة» تمييزًا لها ولرسالتها، وعروبتها وعربيّتها، من المدارس التي كانت تعلّم باللغة التركيّة. وبقي المبارك عاملًا في مدرسته حتى انتقل في سنة ١٩٠٩ للتدريس في «مكتب عنبر». وقد حظيت مدرسة النجاح أو «مكتب النجاح» بالقبول والشهرة، وذكر الشيخ محمد أحمد دهمان وكان من طلاب مكتب النجاح، أنه كان أرقى مكتب في ذلك العصر.

وكان على المبارك والجندي والبزم وأمثالهم أن يستخرجوا اللغة من تحت الرَّدم، كما يقول الأستاذ البزم. وأن ينشروها، وأن يحبِّبوا الشبّان بها، وكان لكلٍّ منهم أسلوبه فيما نذر نفسه له.

وقد نوّع المبارك أساليبه في تقريب اللغة إلى الناس، ونشْرِ مفرداتها، وإحياء المهجور منها؛ فكانت له دروسه في مكتب عنبر، وكانت له حلقاته الخاصّة التي يعقدها في بيته، ويحضرها بعض المعلّمين، يدرّسهم فيها مقامات الحريري، ويزوِّدهم بمرادفات ألفاظها، ويطلب إليهم تحفيظها لطلّابهم. وكذلك صنع بكتاب «كفاية المتحفِّظ» لابن الأجدابي الذي وضع شرحًا له[1]. كما وضع شرحًا لمقصورة ابن دُرَيْد، عمَّى فيه بكلمة الشرح عن غايته من الكتاب، فكان شرح البيت من المقصورة لا يتجاوز السطر أو السطرين من حيث المعنى، ولكن ألفاظه ومفرداته تستغرق الصفحات في ذكر المفردات وتعداد المترادفات، بل كان يستشهد بالآية القرآنية أو الحديث النبويّ، لينطلق إلى ذكر مرادفات الكلمات التي وردت في الشاهد القرآني أو الحديثيّ، أوالشاهد الشعريّ، لأن الغاية كانت الإكثار ما أمكن من ذكر المفردات التي غابت في آخر العصر التركي من حياة الناس وثقافتهم، وقد ذكر بعض زملاء المبارك من المجمعيّين، بعد أن اطّلعوا على نسخة المقصورة أنه لو جُمعت المفردات التي فسّرها الشيخ المبارك في شرح المقصورة ومرادفاتها لشكَّلت معجمًا لغويًّا يستفيد منه الكتّاب والأدباء.

وعلّم المبارك اللغة والشريعة والتاريخ الإسلاميّ في المدرسة الحربيّة سنة ١٩١٩ وعهد إليه فيها بتعليم الخطابة والإنشاء[2].

(١) كفاية المتحفِّظ ونهاية المتلفِّظ لابن الأجدابي، نشر دار الفكر بدمشق سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م.
(٢) انظر الملحق في آخر هذا الكتاب ص١٤٧.

قال الأستاذ علي الطنطاوي «كان الشيخ المبارك أصمعيّ زمانه، وأبا عبيدة عصره، ينشر العربيّة، ويُحبِّب بها الطلّاب في مكتب عنبر.»

وكان المبارك يقول: «ما نقص عمرٌ صرفه صاحبه في إغناء لغة الناس. وما مات، من مات لتحيا لغته.»

ولقد كان الاهتمام الفكريّ للمبارك منصرفًا إلى ثلاثة أمور؛ الأول منها نشر اللغة العربية، وتحبيب النشء بها، والثاني هو العناية بجوهر الأشياء لا بأعراضها ومظاهرها، والثالث هو استرجاع أحداث السيرة النبويّة والتاريخ الإسلامي، واستخلاص العبر منهما، والموازنة بين ما يدعونا تاريخنا إليه وبين ما نحن فيه اليوم. وكثيرًا ما كان يعقد في أحاديثه الموازنات بين تقدّم الغرب ورقيّه، وتأخر الشرق وتخلّفه !

كان يتساءل عن سبب الهوّة بين غربٍ متقدّم متمدِّن، وشرقٍ متأخر متخلِّف ! ويقول لمَ وصل ذاك بطائرته إلى السماء، وبقي العربي مع إبله ونوقه؟ ولمَ سعى ذاك إلى العلم وتمتّع بثمراته ومخترعاته، وبقينا نحن وبقي علمنا حبرًا وأقلامًا وأوراقًا ؟! لمَ كان علمهم عمليًّا وظلّ علمنا نظريًّا ؟! لمَ عالجوا مريضهم عند الأطبّاء، وبقي مريضنا بيد الحلّاق ؟! ... وهكذا. وكان زملاؤه وطلّابه يسألونه أن يجعل ذلك كلّه في كتاب، ولكنه – رحمه الله- نظم أفكاره في قصيدة طويلة حشد فيها تلك الموازنات بين الغرب وانفتاحه على العلوم، وبين الشرق وجموده واستسلامه للكسل والنوم، وجعل كثيرًا من أبيات القصيدة مَعرضًا للغريب من الألفاظ، استعملها على ما يبدو رجاء إحيائها فكانت وبالًا على القصيدة وإبعادًا لها عن الشعر وروحه[1].

---

(١) القصيدة منشورة في الكتاب الذي أصدره المجمع عن «عبد القادر المبارك» تأليف إبراهيم الزيبق. بعنوان: إحدى العِبَر بين البشر. أو: أنشودة الألباب في عالم الأسباب. ص١٣٧

محمد كرد علي

١٢٩٣ - ١٣٧٢هـ

١٨٧٦ - ١٩٥٣م

هو واحد من أكثر الرجال حيويّة ونشاطًا، كاد لِما يتّصف به من إحاطة وطموح أن يكون مَجمعًا وحده.

وهو أول من نجح في تأسيس أول مجمع للّغة العربية في الوطن العربيّ كلّه، ورأسه مدى حياته، ولم يكن ذلك تمسّكًا منه بمنصبه، أو حرصًا على رئاسته؛ فلقد تنازل عن رئاسة المجمع غير مرّة، ورغب إلى الأمير شكيب أرسلان أن يحلّ محلّه، فكان الأمير يعتذر مرّة وتُعاكسه الظروف مرّة أخرى.

ولقد أحبّ الأستاذ كرد علي العرب ولغتهم وتاريخهم وحضارتهم، وصرف همّته في بعث ذلك كلّه، وجعل المجمعَ عربيَّ الطابع منذ نشأته؛ فضمّ إليه أعضاءً من جميع بلاد الشام (سورية والأردن ولبنان وفلسطين) ومراسلين من كلّ الأقطار العربيّة.

وأوصى بالشعر القومي، وبإحيائه ودراسته وعدم نسيانه، ودعا إلى ذلك في كتابه «غوطة دمشق».

وألّف الكتب عن دمشق وعن العرب وتاريخهم، وحقّق كتبًا من تراثهم، وحثّ الشبّان والعلماء على تحقيق التراث وإحيائه. وكان صاحب الخطوة الأولى في دفع الدكتور صلاح المنجد إلى تحقيق تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر.

وأصدر مجلّة شاملة للتربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد، والأدب والتاريخ، والآثار، واللغة، والصحّة، وحضارة العرب، كما جاء في مجلّته (المقتبس)، وأصدر جريدة يوميّة.

وشارك في مصر بتحرير عدد من الصحف.

وأذاع - حين كان وزيرًا للمعارف - بيانًا مؤرَّخًا في ٧/ ١٠/ ١٩٢٠ يدعو فيه المعلِّمين إلى تعليم الآداب الفرديّة والاجتماعيّة للطلّاب[١].

ثم أذاع بيانًا آخر بتاريخ ٢٢/ ١١/ ١٩٢٠ دعا فيه إلى اشتراك أبناء جميع الطوائف في المدارس، لتتمّ أسباب التربية الوطنيّة، وترتفعَ كلُّ وحشةٍ بين أبناء الوطن الواحد، وتتمازج القلوب، وتتَّحد المقاصد، وبذلك تتحقَّق المواطنة السليمة الصادقة.

إنه يصعب أن نوجز في صفحة أو اثنتين إنجازات من كتبت عنه مقالات، وألّفت في سيرته كتب، ولكن حسبنا أن نقول إن الأستاذ كرد علي، وهو ابن كرديّ من الموصل وأمٍّ من قفقاسيا، ولد بدمشق وأخذ عن شيوخها، فأصبح عاشقًا للعرب وتراثهم، ومؤلِّفًا في تاريخهم وحضارتهم، وواحدًا من أنشط العاملين في ميادين الثقافة والصحافة، والتأليف والتحقيق، والتربية والإصلاح.

ومن أقواله: «غاية ما أرمي إليه أن أؤدِّي ما في ذمَّتي من دَين للحقائق الموصلة إلى الإصلاح»[٢].

«وفي أكثر ما خطّت يميني نموذجات من الحريّة التي توسّعتُ فيها، واعتقدتُ نفعَها في تنوير الأذهان»[٣].

---

(١) جريدة (العاصمة)، السنة الثانية، العدد ١٦٢ ص٥.

(٢) المذكرات ٥/ ٣٢٩.

(٣) المذكرات ٥/ ٣٣١.

«والمرء لا يُحكم لغةً إلّا إذا أتقن أدبها، ودرس بها العلوم، وبغير ذلك يستحيل على مَن يطمع في تعلّمها، أن يبرز بها ويُحكمها»[1].

«وأمنيتي المُحبَّبة إليّ، ولطالما تناغيت بها، أن تنشأ للعرب دولةٌ لا تَصدرُ إلّا عن الوطنيّة العربيّة.»[2].

وقال عن نفسه: «أنا كرديّ عربيّ مسلم؛ كرديّ العِرق، عربيّ الفكر والقلب واللسان، مسلم العقيدة، وليس لأيِّ لغويٍّ مُتعمِّق في لغة الضّاد، دارسٍ مؤرِّخ راسخٍ في دراسة التاريخ الحضاريّ لهذه الأمّة، إلَّا أن يكون عربيَّ القلب والفكر والهوى، مهما كان محتده، ومهما كانت عقيدته.»

* * *

(١) المذكرات ٥/ ٥٧١.

(٢) المذكرات ٥/ ٣٣٠.

محمد سليم الجندي

١٢٩٨ - ١٣٧٥هـ

١٨٨٠ - ١٩٥٥م

كان واحدًا من أبرز شيوخ العربيّة في عصره، ومن أكثر المجمعيِّين نشاطًا في تعليم العربيّة، والدفاع عنها، حتى قيل يوم مات إنه آخر أولئك العلماء الأبرار الذين يمثّلون علماء السَّلَف في علمهم وثقافتهم وصدقهم وخُلُقهم.

شارك بقوّة في نشر الثقافة العربيّة، اللغويّة والأدبيّة، بعد جلاء الأتراك عن بلاد الشام، وتخرّجت به أجيال يمثّلها من طلّابه علي الطنطاوي وسعيد الأفغاني وأنور العطّار.

سار على طريقة القدماء في وضع رسائل لغوية، يُفرد كلًّا منها لموضوع؛ فواحدة في (الكَرْم) وثانية في (الطُرُق)، وكلّ منهما تجمع المفردات التي تتّصل بموضوعها. ووضع رسائل عن أعلام الأدب، كتبها بلغة عصريّة فصيحة، وأخرجها في سلسلة تحمل اسم (عمدة الأديب)، وخصّ كلًّا من امرئ القيس، والخنساء، والحطيئة، وحسَّان، وابن المقفَّع، وابن الرومي، وابن زيدون، وغيرهم برسالة، وشارك في إخراج «عدّة الأديب». وألّف كتابًا ضخمًا هو «الجامع في أخبار أبي العلاء»، وكتب في تعليم النحو والأدب والإنشاء، ولم تطبع كل كتبه، ولكن ما طبع منها كان ذا أثر واضح في ثقافة الجيل الذي عاصره.

ودرّس العربية في مكتب عنبر، وفي مدرسة الأدب العليا، وهي المعهد

الذي قام على أكتاف المجمعيّين[1].

وكانت للجندي جهود بارزة في إنهاض العربيّة وإنعاشها، وفي تعليم الموظّفين مُنشِئًا ومميِّزًا ومعلّمًا، وفي ملاحقة الأخطاء اللغوية، والتنبيه على الفاسد من لغة الجرائد[2].

وكان يقول: «إن اللّغة من الأمّة كالظلِّ من الشخص، تتبعها في الامتداد والارتقاء، كما تتبعها بأضدادهما.»

ونظم الأستاذ الجندي الشعر في المناسبات المختلفة، ومن شعره قوله مخاطبًا السلطان بعد الانقلاب التركي:

ونحن القوم قد عشقوا المعالي ... فبلّغنا بحكمتك الوصولا

وما كان الخمول لنا بخُلقٍ ... ولكنّا تكلَّفنا الخمولا

ومُلْك لا يُقام له أساسٌ ... على عدلٍ، حريٌّ أن يزولا

ومَن سَلَّتْ يداه سلاحَ بغيٍ ... جديرٌ أن يكون به قتيلا

* * *

---

(١) انظر الملحق، ص: ١٥٦ و ١٥٨.

(٢) ينظر للاستزادة كتاب «محمد سليم الجندي» لمؤلفته بسمة رحيم، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٣٢هـ و٢٠١١م.

عبد القادر المغربي

١٢٨٤ - ١٣٧٥هـ

١٨٦٧ - ١٩٥٦م

مغربي الأصل[١]، ولد في اللاذقية، كانت نشأته الأولى في مدينة طرابلس بلبنان، وفيها تلقى العلم، وكان جمّ النشاط كثير التنقّل. عاش مدّة في مصر، واتّصل بالشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وتأثّر بهما. وحرّر في صحيفة (الظاهر) وفي صحيفة (المؤيّد).

وعاد إلى طرابلس سنة ١٩٠٨ وأصدر جريدة (البرهان).

وشارك في سنة ١٩١٥ في تأسيس الكلية الصلاحيّة بالقدس، ودرّس فيها.

وعاد إلى دمشق أيام الحكومة العربية فعيّن في ديوان المعارف الذي أصبح المجمع العلمي العربي، فكان المغربي من أوائل أعضائه المؤسسين، وعمل نائبًا لرئيسه مدة من الزمن. ودرّس في معهد الحقوق بدمشق وفي مدرسة الأدب العليا[٢]، وانتخب عضوًا في مجمع القاهرة سنة ١٩٣٢.

ولقد كان الشيخ المغربي من أكثر أعضاء المجمع نشاطًا في كتابة المقالات، وإلقاء المحاضرات التي تعدّدت موضوعاتها في الأدب واللغة والاجتماع. وكان ذا دعوة إلى الإصلاح في أوضاع الدولة والمجتمع والمرأة، وإلى السعي

---

(١) من أسرة «دار غَوْث» التونسية، ويلفظونها «دَرْغوت».

(٢) انظر الملحق ص: ١٥٦ و ١٥٨.

لجعل اللغة العربية لغةً للحياة.. واتُّهم من بعض زملائه بالتسامح في كثيرٍ من شؤون اللغة والحياة.

وقد ترك مئات المحاضرات المنشورة، وعددًا من الكتب من أهمها:

- الاشتقاق والتعريب.
- الأخلاق والواجبات.
- كتاب البيّنات.
- جمال الدين الأفغاني (في سلسلة اقرأ).
- عثرات اللسان.

* * *

الشيخ محمد الخضر حسين

١٢٩٣ - ١٣٧٧هـ

١٨٧٦ - ١٩٥٨م

وُلد الشيخ محمد الخَضِر حسين ونشأ في تونس، ودرس في جامع الزيتونة، وقام برحلة زار خلالها ليبيا والجزائر. درّس في جامع الزيتونة الذي تخرّج بعلمائه، وكان قيّمًا على مكتبته، ودرّس في الصادقيّة. عُرف بعلمه وطموحه واهتمامه بالعالم العربي والإسلامي.

رحل إلى المشرق فوصل دمشق سنة ١٩١٢ وزار لبنان ومصر، ولمّا عاد إلى تونس وجد قرار السلطة الفرنسية بفصله من عمله فعاد مهاجرًا إلى دمشق.

وفي دمشق شارك في الحياة الثقافية والسياسية؛ فدرّس في الجامع الأموي، وفي المدرسة السلطانيّة.. ولم يلبث أن سجنه جمال باشا عدّة أشهر ثم أطلق سراحه، فذهب إلى الأستانة وعمل منشئًا عربيًا في وزارة الحربيّة.

وعاد إلى دمشق فاختاره المجمع العلمي العربي عضوًا فيه.

لاحقه الفرنسيون وحكموا عليه غيابيًّا بالإعدام، فرحل إلى مصر سنة ١٩٢٢ وتابع دراسته فيها، وعمل في دار الكتب الوطنية، واتّسع نشاطه السياسي والثقافيّ. ولست أكتم أنني أقدّر أنْ لو استمرّ القلم في تسجيل حياة الشيخ ونشر سيرته فسيطغى ويطيل، وأن خيرًا من ذلك أن أقفز من محطّة في حياته إلى محطّة، ومن حدَث إلى حدَث.. فلقد كانت حياته مراحل متلاحقة،

ونشاطًا تتابعت خطواته وأثمرت إنجازاته، وحسبي أن أعدّد ما عرفت منها، فلقد كانت آخر لقاءاتي به قبل وفاته بقليل، وبعد إبعاده عن مشيخة الأزهر بقليل، وكان - رحمه الله - لا يستطيع - على ضعفه - القعود، بل راح يتحدّث إليّ وهو بين أول الغرفة وآخرها في جيئة وذهاب، حديثَ الذكريات، وحديث الألم والحسرات، وسأعدّد ما مرّ به من مراحل وأسفار، وما تولّاه من مناصب ومهامّ، وما قام به من أعمال، وما تركه من آثار، تاركًا للقارئ تقدير منجزاته:

- ولد في تونس سنة ١٢٩٣هـ ١٨٧٦م وانتقل إلى عاصمتها سنة ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م.
- تخرّج بعلماء جامع الزيتونة، ودرّس فيه.
- أنشأ مجلة «السعادة العظمى» ١٣٢١هـ-١٩٠٣م.
- تولّى قضاء بنزرت سنة ١٣٢٣هـ- ١٩٠٥م.
- مدرّس في الزيتونة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م.
- عضو تنظيم مكتبتي العبدلية والزيتونة التونسيتين.
- زار الجزائر مرّات، وزار دمشق سنة ١٣٣٠هـ- ١٩١١م.
- زار الأستانة ثم عاد إلى تونس سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٢م.
- عضو في (لجنة التاريخ التونسي).
- انتقل إلى دمشق وسكنها ودرّس في المدرسة السلطانية.
- شارك في وفدٍ بعثته الحكومة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى إلى ألمانيا.
- عيّن منشئًا عربيًّا في الأستانة.
- عاد إلى دمشق وانتخب عضوًا في مجمعها.
- بقي في دمشق يدرّس في المدرسة وفي الأموي ويكتب المقالات.

- لاحقه الفرنسيون وحكم غيابيًا بالإعدام، فسافر إلى القاهرة سنة ١٩٢٢م.
- عمل في المكتبة الوطنية بالقاهرة خمس سنوات.
- تابع دراسته في الأزهر، وحصل على العالمية.
- درّس في الأزهر، وفي كثير من المساجد.
- أنشأ جمعية للتعاون بين الجاليات الأفريقية «جمعية الدفاع عن شمال أفريقيا»، وانتخب رئيسًا لها.
- تولّى تحرير مجلة «نور الإسلام» التي أصبحت فيما بعد «مجلة الأزهر».
- تولى تحرير مجلة «لواء الإسلام».
- أصدر مجلة «الهداية الإسلامية».
- أصبح عضوًا في مجمع القاهرة سنة ١٩٣٣م.
- أصبح واحدًا من جماعة كبار العلماء، ثم شيخًا للأزهر سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.
- ترك مشيخة الأزهر سنة ١٣٧٣هـ - و١٩٥٧م.
- توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

وقد ترك- رحمه الله- نحوًا من عشرين كتابًا، وعشرات المقالات في الصحف والمجلات. ومن كتبه:

- حياة اللغة العربية
- القياس في اللغة العربية
- الحرية في الإسلام
- نقض كتاب في الشعر الجاهلي
- الدعوة إلى الإصلاح
- ديوان شعر

وقد كان لكل مرحلة من تلك المراحل دوافعها وأسبابها، فلطالما دعتْ الواجباتُ الفكرية والعملية والأمنيّة صاحبها إلى الانتقال منها إلى غيرها، وظلَّ كذلك حتى فارق دنياه، وشيّع إلى محطّته الأخيرة التي دفن فيها إلى جانب صديقه

أحمد تيمور باشا، وحضرت جنازته، وسمعت ما سمعت من أخبار صلابته في الحق واستقامته وعفّته وإخلاصه، وجرأته في الوقوف في وجه السلطة المتسلّطة التي أرادت دمج ماليّة الأوقاف الإسلامية في ماليّة الدولة العامة !

وذلك ما أدّى إلى إبعاده عن مشيخة الأزهر ! فآثر دينه وكرامة المشيخة على المنصب. وقد كنت سمعت ذلك منه، ولعل من يتتبع أخبار الأوقاف والتفريط بها في أكثر البلاد الإسلامية يستمع عجبًا ! لندرة الرجال من أمثال الشيخ محمد خضر الحسين رحمه الله.

ومن شعره في حبّ الوطن:

وطني علَّمتَني الحبَّ الذَّي ... يَدعُ القلب لدَى البَيْن عليلا
أنا لا أنسى على طول المَدى ... وطنًا طاب مَبيتًا ومَقيلا
في يميني قلمٌ لا يَنثني ... عن كفاحٍ، ويرى الصبر جميلا

ومنه في مخاطبة صلاح الدين الأيوبي:

لكَ سيرةٌ كادتْ تُمثِّل للنُّهى ... بَشرًا يُنافِسُ في العُلا أَمْلاكا
ومفاخر يوم استغاث الشرق من ... خطرٍ ألمَّ ولم يُجِرْه سِواكا
أيُتاح للشرق المُعذَّب ذائدٌ ... يَرمي ويَبلغُ في النضال مَداكا؟

* * *

خليل مردم بك

١٣١٣- ١٣٧٩هـ

١٨٩٥- ١٩٥٩ م

كنت أرى فيه مثالًا لخُلُق الدمشقي المثقَّف، لما يتصف به من لطف ودماثة، وأدب وكياسة، وصدق ووفاء، ونبل ومروءة، وحزم وتواضع. ولقد جمع بين عراقة دمشقيّة ومعاصَرة ليّنة ناعمة، كما جمع بين ثقافتين واسعتين في أدب النفس وأدب الدرس، وجمع بين الإجادة في النثر والتقدّم في الشعر، وجمع بين الهَمَّين اللَّذين حملهما رجالات جيله؛ همّ السياسة والوطنية، وهمّ الثقافة ومحو الأميّة، بل قل همّ العرب والعروبة، واللغة العربيّة أو همّ تعريب اللسان وتحرير الأوطان.

وبقي طَوال حياته مرهَف الحسّ تتنازعه ثلاث دعوات: دعوة الحبّ والتأثر بالجمال، جمال الطبيعة في الغوطة وما فيها من شجر وزهر وثمر، وجمال الحياة وما فيها من متعة وسمر. ودعوة الوطن وما يمرّ به من أحداث وثورات ومحن ونكبات. ودعوة الفكر وما يقتضيه من كتابة وتأليف وتحقيق. وقد استطاع أن يستجيب لكلّ تلك النوازع والدعوات، وأن يلبّي دعواتها بشعر عذب ينشده، أو صراع وطنيّ يخوضه، أو آثار علميّة تشهد له بالفضل وجمال البيان، وجودة التحقيق.

بدأ خليل مردم بك حياته العملية (مميِّزًا) في ديوان الرسائل العامة للحكومة العربية سنة ١٩١٨. وعُهد إليه بتدريس الإنشاء في «مدرسة الكتّاب

والمنشئين» التي أسستها الحكومة سنة ١٩١٨، وأسماها غيره «مدرسة الكتّاب والموظفين». وهي التي كان يلقي دروسها ضُحى النهار في بهو دار الحكومة[١]. واستمرّ الرجل في عمله حتى دخول الفرنسيين مدينة دمشق، فتخلّى عمّا كان يقوم به، وبدأ يتّصل بمن يعرفهم من المثقَّفين والوطنيّين، كما راح ينفّس عن آلامه وآماله شعرًا، وقد نظم إذ ذاك قصيدته «لوجه الوحدة» وفيها يقول:

فيمَ التقاطعُ والأرحامُ واشِجةٌ — والدار جامعة والمُلتقَى أَمَمُ
تأبَى وشائجُ من قرباكُم اشتبكت — أن يُنقض العهدُ والميثاق والذِّمم
أفي الحصافة صَدْع الشمل في زمنٍ — ونحن أحوج ما نَضوي ونلتئم
وهل ترى فئةً في أمرها انقسمتْ — إلّا وأصبح عقبى أمرها النَّدم

وهي قصيدة يتحسّر فيها على التفرّق العربيّ، ويستثير النخوة بالتذكير بما كانت عليه الأمة[٢]. وأتبعها بقصيدة عنوانها «واعربيّتاه» يقول فيها:

هجروا من الكَلِم الصِّحاحَ سخافةً — واستبدلوا بعِرابها أعلاجَها
لم يتركوها بعد ذاك وشأنَها — بل أجهزوا كي يُطفِئوا وَهَّاجها
واضرب بطرفك هل ترى من أمةٍ — عقدتْ على تاج المجرَّة تاجها
إلّا وللّغةِ المقامُ المُجتبَى — جعلوا إلى هام السُّرى مِعْراجها[٣]

وانتهى اتصال الخليل بأصحابه ومعارفه إلى تأسيس جمعية «الرابطة الأدبية» التي أُسِّست وعَقدت أول اجتماع لها في آذار سنة ١٩٢١، وكانت تضمّ كلًّا من

---

(١) سبق الحديث عنها في ص: ٢٧ . وانظر المادّة التي كان يدرّسها في الملحق.ص: ١٤٣.
(٢) نظمت في رجب سنة ١٣٣٩ و١٩٢٠. الديوان: ٢٠٣.
(٣) نظمت «واعربيَّتاه» في شباط ١٩٢١. الديوان: ٢٠٠.

شفيق جبري، حيدر مردم، محمد الشريقي، سليم الجندي، حليم دمّوس، أحمد شاكر الكرمي، عبد الله النجار، جورج ريِّس، ماري عجمي، عز الدين التنوخي، نجيب الريّس، فخري البارودي، قبلان الرياشي، نسيب شهاب.

وانتخبت الرابطة الأستاذ خليل مردم رئيسًا لها. وأصدرت مجلّة تحمل اسمها «مجلّة الرابطة الأدبية»... وأحسّ المحتلّون بخطر المجلّة ومَن وراءها، فأوقفوا المجلّة، وحلّوا الرابطة ! ولكنّ صاحب الرسالة لم يسكت، بل راح يُبيِّن حقيقة رسالة الشاعر في مجتمعه فينشد قصيدة يقول فيها:

إذا لم يُنبِّـه شـاعرُ القـوم قومَـه ... فـذاك بـأن يَشقى بـه قومُـه أحـرى
أرى الشعر أنفاسًا يَضيق بها الفتى ... فيُطفـي بهـا جَمـرًا ويُـذكي بهـا جمـرا
ويَنفُخهـا روحًـا بميِّـت أمَّـةٍ ... فتنسلُّ من أجداث غفلتها تترى[1]

ولا يكتفي شاعرنا بتنبيه قومه، ونفخ الروح فيهم ليُفيقوا من غفلتهم، بل يصرخ فيهم مستثيرًا نخوتهم ومستفِزًّا لهم قائلًا:

بني العروبة كم من صيحةٍ ذهبتْ ... لـو يُـستثار بهـا المَـوتَى إذن ثـاروا
إن الحـوادث لـو أدركـتمُ عِـبَرٌ ... فـأين؟- لا أيـن- ألبـابٌ وأبـصارُ
الـرَّحم واشـجةٌ، والـدار جامعـة، ... فَلِـمْ تُقطَّـع أرحـام وأقطـار[2]

وتبقى قصائده متتالية في كل مناسبة؛ فواحدة في ميسلون، وأخرى في يوسف العظمة، وثالثة في شهداء العرب.. وهكذا يمضي الأستاذ مردم متابعًا نضاله الوطني والفكري كتابة للمقالات ونظمًا للشعر.

ويخلّده ويخلّد شعره، النشيد الوطني السوريّ الذي وضعه فكان وصفًا

---

(١) من قصيدة عنوانها (الشعر)، نظمها سنة ١٩٢٤، الديوان: ٩٥-٩٧.

(٢) الديوان: ١٧٦- ١٧٨.

لعزٍّ حاضر، وذكرًا لمجد غابر، ورمزًا لراية خفّاقة.

وضمّه المجمع العلمي العربي إليه في ٩/ ١/ ١٩٢٥، فراح يعطي المجمع ما يحتاجه من جهده وعمله، وينظم في أحداث وطنه التي امتلأ بها ذلك العام، فكانت قصيدته «ذكرى الشهداء» وقصيدته «شهداء العرب» وكانت بعد ذلك القصيدة التي وصف فيها ما حلّ بالغوطة الدمشقية، موطن الثورة، من قتل ودمار ومن تخريب ونار، وجعل عنوانها «يوم الفزع الأكبر»(١)، فلاحقه الفرنسيون فسافر إلى لبنان ومنها إلى مصر التي توطّدت صلته فيها بعدد من أدبائها، وفي مقدمتهم حافظ إبراهيم، ثم ترك مصر وسافر إلى انكلترا حيث درس في جامعة لندن نحوًا من أربع سنوات ليعود بعدها إلى دمشق في سنة ١٩٢٩.

درّس في (الكلية العلمية الوطنيّة) ، وصرف معظم وقته في العمل الثقافي والفكري والأدبي.

وأصدر عددًا من الكتب، ثم أصدر مجلّة (الثقافة) بالاشتراك مع جميل صليبا، وكامل عيّاد، وكاظم الداغستاني. كما أصدر سلسلة (أئمة الأدب): الجاحظ، وابن المقفع، وابن العميد، والفرزدق ، وغيرهم لتكون عونًا للطلاب والمثقفين، تعلّم الأدب والكتابة.. واشتهر الخليل بثقافته وحكمته، فكان وزيرًا للمعارف سنة ١٩٤٢، وضمّه إليه مجمع القاهرة سنة ١٩٤٨، ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن سنة ١٩٥١، كما ضمّته إليها بعض المحافل العلمية الدولية في إيطاليا والاتحاد السوفييتي. وعُيّن وزيرًا مفوَّضًا في بغداد سنة ١٩٥١ ثم أسندت إليه وزارة الخارجية ورئاسة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٣.

وكانت مدة رئاسته لمجمع دمشق واحة يتفرّغ فيها للعمل الفكري الثقافي،

---

(١) الديوان: ١٦٦.

رعاية للمجمع ومجلّته، وتحقيقًا لعدد من دواوين الشعر التي اقترنت باسمه.

وحسب الأستاذ خليل مردم بك، بعد كل الذي ذكرته عن نشاطه وتعدّد مناحيه أن أذكر النشاط الذي كان هو محوره، والذي كان يديره في منزله بدمشق، وكانت تعقد فيه المجالس على اختلاف مناسباتها:

- ففي سنة ١٩١٣ استقبل في داره الأستاذ عز الدين التنوخي بمناسبة عودته من فرنسا منهيًا إيفاده.
- وفي منزله كانت تعقد جلسات سياسيّة وطنيّة يحضرها عبد الرحمن الشهبندر، ومحمد كرد علي، وعبد الوهاب الإنكليزي، وشكري العسلي، وفارس الخوري، ومحسن الأمين، وسامي العظم، وأنيس سلوم، وعارف الشهابي.
- وفي منزله تعقد جلسات أدبيّة للرابطة الأدبية، يحضرها: سليم الجندي، وشاكر الكرمي، وعز الدين التنوخي، وشفيق جبري، وحليم دمّوس، ونجيب الريس، وماري عجمي، وغيرهم.
- وفي منزله تعقد جلسات أدبيّة خارج نطاق الرابطة يحضرها الأمير شكيب أرسلان ، ومحمد كرد علي، وإسعاف النشاشيبي، وسليم الجندي، وعبد القادر المغربي، وبدر الدين النعساني.
- وفي بيته يجتمع أعضاء مجلة الثقافة: جميل صليبا وكاظم الداغستاني، وكامل عيّاد.
- وفي بيته يقيم الاحتفال باستقبال كبار الضيوف؛ فقد استقبل فيه كلًّا من أحمد شوقي، ومعروف الرصافي، والزهاوي، وخليل مطران، وإيليا أبو ماضي، وبشارة الخوري (الأخطل الصغير) ، وإبراهيم عبد القادر المازني، ومحمود تيمور، وزكي مبارك، وأحمد حسن الزيّات.

إنه البيت الدمشقي الذي يَسعد بالضيف، ويسعد الضيف فيه باللّطف والكرم وحسن الضيافة ولين الحديث ومتعة السَّمر.

وكما كان لخليل مردم فضل السَّبق في وضع النشيد العربي السوريّ، كذلك كان له فضل السّبق في اقتراح شعار المجمع المنتزَع من البيئة العربية، والذي جمع من الرموز والدلالات ما يعبّر دون كلماتٍ عن أبلغ ممّا تُعبِّر عنه الكلمات، من عروبةٍ مجتمعة على ألوان العَلَم العربيّ المشترَك الذي لا أثر للقطريّة فيه، يجمعها هدف واحد يتمثّل ببقاء لغتها شعلة تضيء ونورًا يهدي وغاية توحِّد[1].

* * *

(١) سبق الحديث عن شعار المجمع في ص ١٦.

عز الدين التنوخي

١٣٠٧- ١٣٨٦هـ

١٨٨٩- ١٩٦٦ م

الأستاذ التنوخي واحد من أكثر الناس نشاطًا، وأكثرِ أعضاء المجمع مشاركة في الحياة العربيّة بما كان فيها - في عصره - من عمل ثقافي تعريبيّ، ومن عمل وطنيّ؛ كانت له مشاركة واضحة في تعريب الألفاظ، وتأليف الكتب، وتحقيقها، وتدريس العربيّة وأدبها وبلاغتها. ولم تكن تَقِلُّ عنها مشاركته في الحركات العربية الناشطة، السرِّيّ منها والعَلَني، ومشاركته في الجيش العثمانيّ ثم في الجيش العربيّ.

إنه رجل عاش عصره بكلّ ما فيه، ومثَّله في حياته بكل ما فيه من كفاح ثقافيّ عربيّ، ووطنيّ تحرّريّ، حارب، وتشرّد، وحكم عليه بالإعدام، وعرفه العمل الجهاديّ في بلاد الشام والحجاز والعراق ! وكان له في كل ميدان أثر؛ وكان من أكثر المثقَّفين نشاطًا في المجالات الثقافية والوطنيّة والقوميّة.

تعلّم التنوخي في مدرسة (الفرير) بيافا، وفي (الأزهر) بمصر، وفي مدارس (الأستانة) بتركيا، وفي معاهد (باريس) في فرنسا !

أتقن العربيّة والتركية والفرنسيّة. وعاش وعلّم في كل من بيروت بلبنان، (وأسَّس فيها جمعية الإفصاح) للدعوة إلى التحدّث بالفصحى. وعلّم في طولكرم بفلسطين، وحلب وحمص ودمشق، وفي الجامعة، وفي المساجد، في

سورية، وفي (بغداد) بالعراق. وخدم في الجيشين (العثماني) و(العربي) ، وعمل في الزراعة، إدارةً وتعليمًا، وفي العربيّة، تعليمًا وتأليفًا وتحقيقًا. ونظم الشعر في المناسبات الوطنية والقومية، وعمل في الأعمال الحكوميّة، منشئًا ومميِّزًا، وأمينًا للسرّ، ومديرًا لمجلّة وزارة التربية، ومترجمًا، وعضوًا في كثير من اللِّجان، وعضوًا عاملًا في المجمع العلمي العربي وأمينًا لسرّه. ومديرًا للمعارف في السويداء، ومدرّسًا في كلية الآداب بجامعة دمشق.

وكان يحذِّر من اتِّخاذ العاميّة جسرًا للدخول إلى حرم الفصحى[1].

وأرى لزامًا عليّ، وقد كان الأستاذ التنوخي معلّمًا لي أن أقف عنده وقفة خاصة لأقول بعد الذي عرفنا من سيرة حياته: إنني عرفته منذ طفولتي صديقًا لوالدي، وطالما حضرت مجالسه، وسمعت أحاديثه، وعرفته أستاذًا لي في كلية الآداب، علّمني البلاغة والعروض، وعرفته مشرفًا على رحلة لطلّاب الجامعة إلى تركيا، وكنت واحدًا من أولئك الطلاب الذين رافقوه ثلاثة أسابيع، كان لنا فيها أبًا ومرشدًا ومترجمًا؛ فلقد كان يتقن التركية والفرنسيّة إتقانه العربيّة، وقد ضمّت تلك الرحلة الأستاذين سعيد الأفغاني وعبد الكريم اليافي.

لقد كان الأستاذ التنوخي فريدًا في جيله؛ لم يشابهه أحد في تنوّع مناهل علمه التي كانت تختلف بحسب مراحل عمره من قرآنية إلى مسيحيّة إلى أزهرية فتركية ففرنسيّة ! والتي كان يتنقّل فيها بين الشام وفلسطين ومصر والأستانة وباريس. ولم يكن لأحدٍ من زملائه ما كان له من سرعة حركة، وكثرة تنقّل بين البلاد، وكثرة تباين في الأعمال التي أُسندت إليه، في وزارات الدولة ومؤسساتها،

(١) ينظر للاستزادة الكتاب الذي يحمل اسمه ، تأليف إبراهيم الزيبق. من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

بين وزارة المعارف، والبريد، والصحّة، والزراعة، والمجمع العلمي العربي، ومن قدرة على العطاء في ميادين الثقافة من التعليم والتأليف والتحقيق، وفي ميادين النشاط الاجتماعي من مشاركة في اللجان والجمعيات والمنتديات الأدبيّة والوطنيّة، وعمل في الحياة العسكرية والمدنيّة، وفي المقاومة الوطنيّة السريّة والعلنيّة، أضف إلى ذلك ما كان ينشر من مقالات، ويلقي من محاضرات، وينظم من قصائد.

ولعل أعجب من ذلك أنه كان في جميع مراحل حياته التي عرفتها، وجميع مواقع عمله التي رأيته في كثير منها، مشهودًا له بالأدب، والزهد في الدنيا ومناصبها، والعفّة في اليد واللسان، وكان مضرب المثل بين إخوانه بطيْب القلب وصفاء النفس. رحمه الله فقد استطاع أن يملأ زمان حياته عملًا وإنتاجًا أكثر مما ملأت الحياة عمرَه زمانًا؛ وذلك هو معنى (البرَكة) في العمر.

* * *

مصطفى الشهابي

١٣١١ - ١٣٨٨هـ

١٨٩٣ - ١٩٦٨م

أمير مجمعيّ، وعالم زراعي، وأديب لغوي، من آل الشهابي. كانت دراسته في بعلبك ودمشق والأستانة وفرنسا، منها سنة في (مكتب عنبر). أتقن العربيّة والتركية والفرنسيّة، واختصّ بالزراعة وعلومها. وخدم في اختصاصه، كما خدم في ميادين أخرى كالميدان اللغوي، والوطنيّ، والقوميّ، والإداريّ، والسياسيّ.

تولّى الوزارة في عهود مختلفة، وعلى فترات، فكان وزيرًا للمعارف، ووزيرًا للماليّة، ووزيرًا للعدل.

وكان محافظًا لحلب، ومحافظًا للّاذقية، وعيّن وزيرًا مفوّضًا في مصر من سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٥٤.

وكان عضوًا في عدد من المجامع العلمية العربية، كمجمع دمشق، ومجمع القاهرة، والمجمع العراقي، وتولّى رئاسة مجمع دمشق منذ ١٩٥٩ إلى آخر حياته.

وتشهد آثاره على نشاطه في مجالات العمل المختلفة، من عربيّة ثقافية كالعناية بالتعريب، ووضع المصطلحات، والمعاجم، ومن عمل وطني كالكتابة عن «الاستعمار» و«القومية العربية»، ومن عمل إداريّ كإدارة المعارض، وتولّي المحافظات، ومن عمل إصلاحيّ كإنشاء دور الكتب الوطنيّة وغيرها(١).

---

(١) كتب عنه د. عدنان الخطيب كتاب «الأمير مصطفى الشهابي». كما وضع عنه الزميل المجمعي د. ممدوح خسارة كتابًا مفصَّلًا أُعدَّ للطباعة، عنوانه «الأمير المجمعي مصطفى الشهابي».

ولقد حظي الأمير الشهابي بإعجاب معاصريه في كلِّ الميادين التي عمل فيها؛ فلقد كرّمته سورية بوسام الاستحقاق، وكرّمته مصر بوشاح النيل. وأثنى على كتبه الزراعية أمين المعلوف فقال إنه لم يكتب أحد أحسن منه في الزراعة منذ صدر الإسلام. وقال المهندس الزراعي عز الدين التنوخي عن معجم الشهابي في المصطلحات الحراجية: «إنه معجم عذب الموارد، جمّ الفوائد سدّ خلّة الحراجة بمصطلحاتها، وبيّن معالمها بتعريفاتها.»

وكان – رحمه الله– علَمًا بارزًا في المجامع اللغوية، وقلمًا نشيطًا في مجلّاتها، وإداريًّا مشهودًا له في الوزارات التي تقلّدها، وفي المحافظات التي تسلّمها ، وأنشأ في كلٍّ منها مكتبة وطنيّة تشهد بفضله وعلوّ همّته.

* * *

عارف النكدي

١٣٠٤- ١٣٩٥هـ

١٨٨٧- ١٩٧٥م

ولد في لبنان من أسرة درزية معروفة ينتهي نسبها إلى قبيلة (تغلب). وتعلّم في المدارس الابتدائية اللبنانية، وفي البطركية في بيروت، ثم في المدرسة العثمانية الإسلامية، ثم في العلمانية الفرنسية.

وأخذ عن عبد الله البستاني، ومصطفى الغلاييني، وإبراهيم المنذر، ويوسف الفاخوري، وغيرهم. واهتمّ بعلوم اللغة العربية والفقه والقانون.

- في سنة ١٩١١ حمل إجازة تخوّله العمل في المحاماة والقضاء.
- وفي سنة ١٩١٢ عُيّن كاتبًا في محكمة الاستئناف.
- وفي سنة ١٩١٤ أصبح قاضي التحقيق في (بعبدا).
- وفي سنة ١٩١٥ أصبح عضوًا في محكمة الجنايات والاستئناف الجزائية.
- وانتقل إلى سورية سنة ١٩١٩، وعُيّن معاونًا للمدّعي العام في محكمة الاستئناف.
- وفي سنة ١٩٢٠ أصبح مفتشًا عامًّا للقضاء في سورية، ومدرّسًا في معهد الحقوق العربي بدمشق.
- وفي آذار من سنة ١٩٢٣ انتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية.
- وفي سنة ١٩٣٠ فصله الفرنسيون من عمله.

- وفي سنة ١٩٣٦ تولّى مديرية المعارض بدمشق.
- وفي سنة ١٩٣٧ أصبح مديرًا عامًّا لوزارة العدل بدمشق.
- وبقي ما بين عامي ٤٤ و٤٩ وهي السنة التي أحيل فيها على التقاعد، يتنقّل بين مدير للإعاشة، ومدير للشرطة بدمشق، ورئاسة لمجلس الشورى، ومحافظ لجبل العرب.
- وكان من أواخر نشاطه إلقاؤه محاضرة بعنوان «الوحدة العربية» في أول مؤتمر عقده مجمعا دمشق والقاهرة سنة ١٩٦١م.

ولم أذكر ما ذكرته من أعمال النكدي ومناصبه لأنشر سيرته العلمية، بل لأقول بعدها إنه كان- في جميع ما قام به من أعمال وما تولّى من مهامّ ومناصب- مثالًا للنزاهة والاستقامة والحزم، عرف ذلك عنه معاصروه، وعرفته من قُرب[1].

وعرفت أنه شارك في العمل الصحفيّ (في جريدة الأيّام)، وكان من الناشطين في (الكتلة الوطنيّة) مع هاشم الأتاسي وإبراهيم هنانو ولطفي الحفار وسعد الله الجابري وفخري البارودي وغيرهم. وأنه أصدر جريدة (اليوم) فأغلقها الفرنسيون، وأنه عرف السجن حين اعتقل في سجن (الميّة وميّة) بلبنان.

لقد كان عارف النكدي صلبًا في خلقه، محبًّا للعدل، مناصرًا للحق، مناضلًا وطنيًّا، ومصلحًا اجتماعيًّا؛ بذل جهده وماله لرعاية الأيتام، وأسّس ما سمّاه (بيت اليتيم) في بيروت، وفي عبيّة، وفي السويداء.

ووضع خطّة رمى بها إلى نهضة وطنية توحيديّة جامعة، وقد تحدّث عنها بنفسه فقال: «أردت أن أنهض بقومي بني معروف، وأسلك بهم السنّة الصحيحة،

(١) انظر حديثي عنه في كتابي «أخلاق دمشق» تحت عنوان «أمين عام» ص٨٨.

فجدَّدت لهم مدرسة قديمة، وربطت بها ثلاثًا وثلاثين مدرسة ابتدائية، في مختلف القرى اللبنانية، وعاكستنا السلطة الفرنسية في نشر العلم بين أبنائنا، واستعنت بالأزهر، فأرسل إلينا بعثة وشيخًا لتدريس القرآن والعلوم الإسلامية، على أنّي لم أوفَّق، فظلّ قومي وأبناؤهم على ما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وكان رحمة الله عليه، أينما حلّ، يدافع عن الفصحى، ويهاجم العاميّة ودعاتها.

* * *

الشيخ بهجة البيطار

١٣١١- ١٣٩٦هـ

١٨٩٤- ١٩٧٦م

عالم دمشقي، ومجمعيّ شارك في النهوض برسالة المجمع، كما كان له نشاطه في الإرشاد الاجتماعي، والتدريس والتأليف والتحقيق.

تعلّم في المدرسة (الريحانية) وفي (الكامليّة)، وأخذ عن والده الشيخ بهاء البيطار وعن جدّه لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار صاحب كتاب (حلية البشر)، كما أخذ عن علماء عصره من أصحاب الدعوات الإصلاحية كالشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ جمال الدين القاسمي- وتأثّر به- والشيخ محمد الخضر حسين.

انتخب عضوًا في المجمع بدمشق سنة ١٩٢٣ وكان ذا نشاط في أعمال لجانه، وفي كتابة المقالات، والتعريف بالكتب ونقدها، وإلقاء المحاضرات، وإذاعة الأحاديث التوجيهيّة اليومية.

عمل في المملكة السعودية ، فدرّس وأنشأ وأشرف على بعض المعاهد التعليمية، وكان في دمشق من أصحاب المنابر في المدارس والمساجد، ودرّس في المدرسة الشرعية وكلية الآداب.

ترك عددًا كبيرًا من المقالات والرسائل المنشورة، ومن أشهر الكتب التي حققها: أسرار العربية لابن الأنباري، والنحو الكوفي للكنغراوي.

* * *

خير الدين الزركلي

١٣١٠ - ١٣٩٦هـ

١٨٩٣ - ١٩٧٦م

صاحب الأعلام وكفاه بهذا نسبًا إلى العلم.

وصاحب القول في سايكسبيكو:

فيمَ الونى وديارُ الشام تُقتسَم ... أين العهود التي لم تُرْعَ والذِّممُ

نُسام خسفًا ونُقصى عن مَحجَّتنا ... ويوثَق الفم حتى تَخفتَ الكَلِم

وصاحب القول بعد ميسلون:

الله للحِدْثان كيف تكيد ... بردى يَغيض وقاسيونُ يَميد

لهفي على وطنٍ يجوس خلاله ... شُذَّاذُ آفاقٍ شراذمُ سُود

شرّ البليّة والبلايا جُمَّةً ... أن تَستبيح حِمى الكرام عبيد

وصاحب القول في الحنين:

العين بعدَ فراقها الوطَنا ... لا ساكنًا ألفتْ ولا سَكَنا

ريّانة بالدمع أقلقها ... ألّا تُحسَّ كرىً ولا وَسَنا

إن الغريب معذَّب أبدًا ... إن حَلَّ لم يَنعمْ وإن ظَعَنا

وكفاه بهذا نسبًا إلى الوطن وحنينًا إليه وحُرْقةً وحسرة عليه.

خدم العروبة في كل بلد حلّ فيه من بلادها. وأصدر الصحف والمجلّات، وما حال بينه وبين عضوية مجمع دمشق إلّا كثرة تنقّله في البلاد وعدم استقراره

في دمشق، فكان في مجمع دمشق عضوًا مراسلًا منذ سنة ١٩٣٠، وكان عضوًا في مجمع مصر سنة ١٩٤٦، وفي المجمع العراقي ١٩٦٠.

وكفاه أنه حكم بالإعدام غير مرّة من سلطات الاحتلال المختلفة، ولوحق فكان ينتقل من عاصمة إلى عاصمة من عواصم العرب، فمن الشام إلى الأردن، ومنها إلى الحجاز فإلى مصر.. والطَلَب وراءه، والتّهم تلاحقه، والعدوّ يتربّص به.

وما حلّ في مدينة إلّا أسس جريدة أو أنشأ مطبعة، وكان صوتًا من أصوات التحرّر العربي والنضال القوميّ، لم يرحل إلّا ليستمرّ في النضال، وما غاب مرةً إلا غلبه الحنين فنادى:

الأهـلُ أهـلي والـدِّيارُ ديـاري وشِـعارُ وادي النَّيْرَبَـيْن شعاري

- أصدر سنة ١٩١٢ جريدة «الأصمعي» في دمشق، قبيل الحرب العالمية الأولى فصودرت ولوحق.
- وشارك في إصدار جريدة «لسان العرب» سنة ١٩١٨، ثم جريدة «المفيد» التي استمرّت حتى سنة ١٩٢٠، وأسّس «الجمعية الأدبيّة».
- وافتتح «المطبعة العربية» في القاهرة.
- وأصدر مع بعض رفاقه جريدة «الحياة» في القدس سنة ١٩٣٠ فصادرها الإنكليز وعطّلوها.
- وأصدر سنة ١٩٣٤ في يافا جريدة (الدفاع) مع إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي.

وخاض غمار العمل (الدبلوماسي) .. وكان في كل مراحل حياته شعلة نشاط عربيّ... والعجب لا ينقضي كيف استطاع الزركلي مع كل هذا الانغماس في الهمّ النضاليّ الوطني أن يضع كتاب (الأعلام) الذي كان خلاصةَ جهد استمرّ ستين

سنة، والذي أحيا فيه سنّة العرب في ترتيب الأعلام بحسب أسمائهم لا بحسب أسماء أو ألقاب الأسر التي ينتسبون إليها، وفي ذكر التاريخ الهجري إلى جانب الميلادي، وزاد في الاكتفاء من الترجمة بما يدلّ ويفيد، يذكر المترجم بالكلمة المنتقاة والمعبّرة، وبالجملة الموجزة والمحكمة، خاليًا من الحشو والإسهاب.

ولقد مكّنه عمله في الجامعة العربيّة وفي السفارات أن يصل إلى مكتبات وكنوز تراثية لم يستطع غيره أن يطلع عليها، وبذلك أغنى تراجمه للأعلام.

وإني أذكر أنني رأيته آخر مرة زرته فيها ببيته في بيروت، صحبة الأستاذ ظافر القاسمي سنة ١٩٧٣ كان الوقت مساءً وكان الرجل لا يزال خلف مكتبه مُنكَبًّا على أوراق كثيرة، صفحات وجذاذات.. قال إنه عاكف على إتمام جزء يُلحِقه بكتابه «الأعلام» ويسمّيه «الإعلام فيما فات الأعلام»، وهو الذي أدخله ناشرو الأعلام في متنه إذ نشروه بعد وفاته، رحمه الله.

ولقد كانت أناشيد الزركلي وقصائده منتشرة على ألسن الطلاب والمثقّفين في العقد الثاني من القرن العشرين، وكنّا نتغنّى بها ونُنشدها كلما وقع في الوطن حدثٌ أو نزلت به نازلة.

لقد كانت أشعاره تُشيع الحياةَ فينا، كما أشاع الحياة في كثير من ألفاظ اللغة وأساليبها، ونفخ روح الثورة والدعوة إلى التحرّر الوطني والإصلاح الاجتماعي.

ذلكم هو خير الدين الزركلي الشاعر والأديب والصحفي والمؤرِّخ، وصاحب أعظم كتب التراجم العرب في العصر الحديث.

* * *

خاتـمـة

وبعد، لقد كان الحديث عما أصابه المجمعُ من نجاح في العقود الأولى من تأسيسه، وما استطاع أعضاؤه ومَن معهم من جامعيِّين ورجال إصلاح أن يصلوا إليه من تعريب الحياة، لغةً في الحديث والمحاضرات، وكتابة في الصحف، ووضعًا للكتاب المدرسيّ، وإحياء للتراث بنشر كتبه وإحيائها، إنما هو حديث عن ترجمة حياة شعب بألسنته وأقلامه وحياته من اللغة التركية إلى اللغة العربية، في مدَّة لا تُحسب شيئًا في حياة الأمم. هو حديث عن سَبقٍ سوريّ غيرِ مَسبوق إلى التعريب، الذي كان تعريبًا بحقّ؛ لأنه تعريب للحياة اللغويّة والتعليميّة والعلميّة والثقافيّة والاجتماعيّة والوطنيّة.

إنه حديث عن خِطّة أو سياسة أو تجرِبة لم نستطع نحن المعاصرين وأبناءهم اليوم أن نقلّدهم فيها، ولا أن ننجح نجاحهم، ولا أن نبلُغ ما بلغوه من إنهاض اللغة من كبوتها على ألسن المعاصرين وأقلامهم.

إن ما صنعوه كان تجربة تعريبيّة لا ثاني لها، وهي جديرة بدراستها وتحليلها والكشف عن خباياها وأسرارها ومعرفة أسبابها. ولعلّه لا يكون حديثًا عن تاريخ يُسرد للاطّلاع، ولكنه درس وعِبرة تستفاد، ومنهج يُتَّبع، حتى يستطيع اللاحق السَّيرَ على خُطا السابق.

* * *

ملاحق الكتاب

١- من دروس الإنشاء التي كان يلقيها الأستاذ خليل مردم بك في مدرسة الكتّاب والمنشئين.

٢- من دروس الإنشاء التي كان يلقيها الشيخ عبد القادر المبارك في المدرسة الحربية.

٣- من دروس الخطابة التي كان يلقيها الشيخ عبد القادر المبارك في المدرسة الحربية.

٤- صورة لمدير مدرسة الأدب العليا وأساتذتها، وللمجازين سنة ١٩٣٢.

٥- صورة ثانية للمجازين سنة ١٩٣٣.

٦- صورة تذكارية للرئيس القوتلي وحوله ضيوف المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي سنة ١٩٤٤.

٧- صور لأغلفة مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية)، ولشعار المجمع وتطوّره.

* * *

محاضرات الخليل في الإنشاء العربي

حين أسَّست الحكومة العربية في دمشق (مدرسة الكتّاب والمنشئين) لتعليم الموظّفين، عهدت إلى الأستاذ خليل مردم بك تدريس الإنشاء[1]. وقد قام – رحمه الله- بذلك على خير وجه. وألقى دروسًا تحدّث فيها عن الكتابة منذ الصدر الأول للإسلام إلى الكتابة في عصره، وعرض أمثلة من الكتابة في العصر الأموي والعصر العباسي. وتحدّث عن الإنشاء وشروط الكتابة، وعن كتابة الدواوين، وذكر أمثلة من كتب اشتهرت في تاريخ الأدب والكتابة للخلفاء وكبار الكتّاب، في موضوعات مختلفة.

وقال في مقدمته: «هذه دروس في الإنشاء العربي كنت ألقيتها في (مدرسة الكتّاب والمنشئين) التي أسستها الحكومة العربية في أوائل سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة بعد الألف للهجرة، لأرباب الوظائف خاصة، فكانت الموظفون تجتمع ضحوة كل يوم في بهو الحكومة لسماع ما يكفي من دروس الإنشاء والنحو والصرف، وكان عهد إليّ بتدريس الإنشاء، فبدا لي أن أجمع في هذه الرسالة ما ألقيه عليهم، مراعيًا درجة أفهامهم، لعلّ مستفيدًا يصيب بها فائدة، والله الموفّق سبحانه.»

١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٣٩ **خليل مردم بك**

وأكتفي من التعريف بكتاب (محاضرات الخليل)[2] بما جاء في التمهيد بقلم مؤلِّفه:

---

(١) انظر ما سبق في ص ٢٧.

(٢) حقق الكتاب وعلّق عليه ابن المؤلّف (عدنان مردم بك) وطبعته الشركة المتحدة للتوزيع بدمشق سنة ١٤٠٥ هـ و١٩٨٥م.

تمهيد في الكتابة والإنشاء

ينقسم كلام العرب، إلى قسمين: الشعر، والنثر، وكل منهما، يشتمل على فنون ومذاهب، أما بحثنا الآن، فنقصره على النثر، أو فرع منه، نعني الكتابة والإنشاء اللذين لا بدّ لطالبهما من الوقوف على بعض العلوم العربية كالنحو، والصرف، والبلاغة، والاطلاع على كتب البلغاء، واستقراء كلام الفصحاء، والنظر في أساليبهم، واقتفاء آثارهم، وتتبع مناحيهم في رسائلهم، ومحاوراتهم والإمعان في فهم ما وضعوه من الأشراط[1]، والأخذ به كي ترسخ في النفس ملكة يقدر معها صاحبها على الإبانة عن مقصوده، إذ إن الإعراب وحده غير وافٍ بالحاجة.

ثم لا ينكر أن الكتابة العربية طرأ عليها ما طرأ على أهلها من التغيير، والتبديل، والصعود، والهبوط، لذلك فنحن نتكلم عن تاريخ الكتابة قبل الإسلام وبعده وأيام دول العرب من الأمويين[2] والعباسيين[3]، وغيرها، وبعد انقراضها إلى عصرنا الحاضر وما انتاب فيها من العوارض مع إيراد ما يجب على المنشئ أن يعمل به من الأصول المرسومة في صفة الكتابة والإلماع إلى مشاهير الكتاب، وشيء مما جادت به قرائحهم، إلى نقل نبذة من أشعارهم، تدل على اختيارهم محاسن الألفاظ، واحتيالهم على التمكن من نواصي مقتضيات الحال.

---

(١) الأشراط: ج شرط وهو العلامة.

(٢) الأمويون: هم بنو أمية ومؤسس الدولة الأموية هو معاوية بن أبي سفيان.

(٣) العباسيون: هم بنو العباس ومؤسس الدولة العباسية هو السفاح.

هذا مع ذكر الكتب التي يستفيد الطالب من مطالعتها، ليكون كل ذلك، صراطًا ينهجه الطالب، ونبراسًا يهتدي بنوره، ملتزمين به خطة الاختصار، والله الهادي، ومنه المعونة.

وعقد المؤلّف في كتابه بابًا تحدّث فيه عن شروط الإنشاء، وذكر فيه آراءً وأقوالًا كثيرة لأعلام الكتّاب في تراثنا كبشر بن المعتمر، وأبي هلال العسكري، والعتّابي، والجاحظ.

ووقف عند لغة الدواوين واستشهد بكتب ومراسلات لكثير من الخلفاء والأمراء وللكتّاب في موضوعات مختلفة كالتوصية والتعزية لابن المقفع والصابئ وابن العميد والهمذاني والخوارزمي.. ولكتّاب من المعاصرين كالمنفلوطي وغيره، كما عقد بابًا ذكر فيه أسماء كتب يستفيد الطالب من مراجعتها وقراءتها...

* * *

من دروس الإنشاء التي كان يلقيها الشيخ مبارك في الكلية الحربية

ص ١

(الإنشاء) إظهار ما في الذهن بواسطة الكتابة وهو فن مستقل بذاته وواسع وله فروع كثيرة.

أقسام الإنشاء

الإنشاء قسمان رسمي وغير رسمي. فالرسمي ما استعمل في دوائر الحكومة عسكرية كانت أو ملكية. وغير الرسمي ما كان بين الناس من المكاتبات. وكلاهما ينبغي أن يكون موافقا للقواعد الصرفية والنحوية مطابقا للغة الفصحى، عاريا عن الألفاظ العامية والأجنبية.

والفرق بينهما أن الكاتب في الرسميات لا يقدر أن يتجاوز الأصول المخصوصة المرعية في تلك الحكومة وفي الخصوصيات يطلق للقلم العنان فيسير كيفما شاء. وفي الأولى لا يجوز له أن يدخل في كلامه شعرا ولا تشبيها ولا استعارة أدبية بل يستعمل كل عبارة جزلة متينة جدية واضحة وفي الثانية له الحق أن يتصرف كيفما شاء، على ما تقتضيه الأحوال.

أنواع الرسائل الخصوصية

هي كثيرة ومنها رسائل الأقارب. ورسائل الإخوان (الأصدقاء) والتهنئة. والتعزية. والتسلية. والتوصية. والتجارة. والتذكرة. والاستدعاء. ~~(الحاشية)~~ والصكوك.

أنواع الرسائل الرسمية

أكثر ما يستعمل في دوائر الحكومة التوقيعات والتذكرة والرسالة والإعلام (الحاشية) والمذكرة.. والمضبطة.

أما التوقيع فهو ما يكتبه رؤساء الدوائر من وجيز الكلام ليستدل به على إحالة تلك الورقة إلى الدائرة التي تتعلق بها أو على ما ينبغي أن يجاب عليها.

وأما التذكرة فهي ورقة مخابرة ترسل من دائرة إلى دائرة وهي إما عمومية وتحتوي على قرار أو معلومات تبلغ أو تعمم وإما خصوصية يدعى بها رجال الحكومة يوم العيد أو في المواسم حتى يحضروا المراسم المخصوصة وتسمى تذكرة الدعوة.

الرسائل. هي أوراق مخابرة ترسل من دائرة إلى دائرة أو من ولاية إلى لواء، أو قضاء، أو ناحية أو بالعكس.

الإعلام. (الحاشية) هي ما يكتبه رئيس دائرة أو مديرها أو ناظرها من الأسطر التي تتضمن قيد تلك الورقة وما جرى عليها من المعاملات وإلى أي مقام قدمت أو إلى أي شعبة أحيلت وأرسلت.

من دروس الإنشاء
في المدرسة الحربية

للشيخ عبد القادر المبارك

❖ **الإنشاء:**

إظهار ما في الذهن بواسطة الكتابة، وهو فنّ مستقلّ بذاته وواسع، وله فروع كثيرة.

❖ **أقسام الإنشاء:**

الإنشاء قسمان: رسمي، وغير رسمي.

فالرسمي: ما استعمل في دوائر الحكومة عسكرية كانت أو ملكية.

وغير الرسمي: ما كان بين الناس من المكاتبات. وكلاهما ينبغي أن يكون موافقًا للقواعد الصرفية والنحوية، مطابقًا للغة الفصحى، عاريًا عن الألفاظ العامية والأجنبية.

والفرق بينهما أن الكاتب في الرسميّات لا يَقدِر أن يتجاوز الأصول المخصوصة المرعيّة في تلك الحكومة. وفي الخصوصيّات يُطلِق للقلم العنان فيسير كيفما يشاء. وفي الأولى لا يجوز له أن يُدخل في كلامه هزلًا ولا تشبيهًا ولا استعارة أدبيّة، بل يستعمل كلَّ عبارة جزلة متينة جدية واضحة. وفي الثانية له الحق أن يتصرف كيفما شاء، على ما تقتضيه الأحوال.

❖ **أنواع الرسائل الخصوصية:**

هي كثيرة، ومنها رسائل الأقارب، ورسائل الإخوان (الأصدقاء)، والتهنئة، والتعزئة، والتسلية، والتوصية، والتجارة، والتذكرة، والاستدعاء، والصكوك.

❖ **أنواع الرسائل الرسمية::**

أكثر ما يستعمل في دوائر الحكومة التوقيعات والتذكرة والرسالة والإعلام (الحاشية) والمذكّرة، والمَضبطة.

- أما التوقيع فهو ما يكتبه رؤساء الدوائر من وجيز الكلام، ليُستدلَّ به على إحالة تلك الورقة إلى الدائرة التي تتعلّق بها أو على ما ينبغي أن يُجاب عليها.
- وأما التذكرة فهي ورقة مخابرة تُرسَل من دائرة إلى دائرة، وهي إما عمومية وتحتوي على قرار أو معلومات تُبلَّغ أو تُعمَّم؛ وإما خصوصية يُدعى بها رجال الحكومة يوم العيد أو في المواسم حتى يحضروا المراسم المخصوصة وتسمى تذكرة الدعوة.
- الرسائل، هي أوراق مخابرة ترسل من دائرة إلى دائرة أو من ولاية إلى لواء أو قضاء أو ناحية أو بالعكس.
- الإعلام (الحاشية)، هي ما يكتبه رئيس دائرة أو مديرها أو ناظرها من الأسطر التي تتضمن قيد تلك الورقة وما جرى عليها من المعاملات وإلى أيّ مقام قدّمت وإلى أيّ شعبة أحيلت وأرسلت.
- المذكرة كل ورقة من شعبة يُخاطَب بها رئيس دائرة أو ناظرها يُستأذَن منه في شيء أو يستفسر عن شيء، وقد تكون بين شعب الدوائر أيضًا.

- المضبطة كل ورقة من مجلس أو لجنة تحتوي خواتيم أعضائها، وهي تتضمن حكمًا أو تصديق مادة أو استئذان آمر في شيء أو شهادة حسنة أو سيئة في مأمور أو براءة مُتَّهم أو تصديق مصروف من الدراهم.

❖ **ما يقتضيه الإنشاء:**

١- ينبغي لمن يريد إنشاء رسالة أن يكون عارفًا باللسان الذي يريد أن يكتب به تلك الرسالة، وليس المراد من معرفة ذلك اللسان أن يعرف التكلم به وفهم ما يخاطب به فقط؛ بل ينبغي أن يعرف قواعد الصرف والنحو واللغة، وشيئًا من علوم المعاني، والبيان، هذا للمُنشئ المُقصّر.

وأما المبرِّز فعليه أن يتعلم هذه بتفاصيلها، ويعرف كثيرًا من العلوم والفنون المتداولة، وأهمها التاريخ.

٢- حسن الخط: لحسن الخط أيضًا أهمية في المكاتبات فإن الرسالة يتنفر منها إذا كان خطها رديئًا وإن حسن إنشاؤها.

وينصرف بعد ذلك إلى ذكر ما ينبغي أن يراعى من الآداب في الكتابة؛ ويذكر أمثلة لكل نوع من أنواع الرسائل التي عدّدها.

* * *

من دروس (الخطابة)

بخطّ الشيخ عبد القادر المبارك

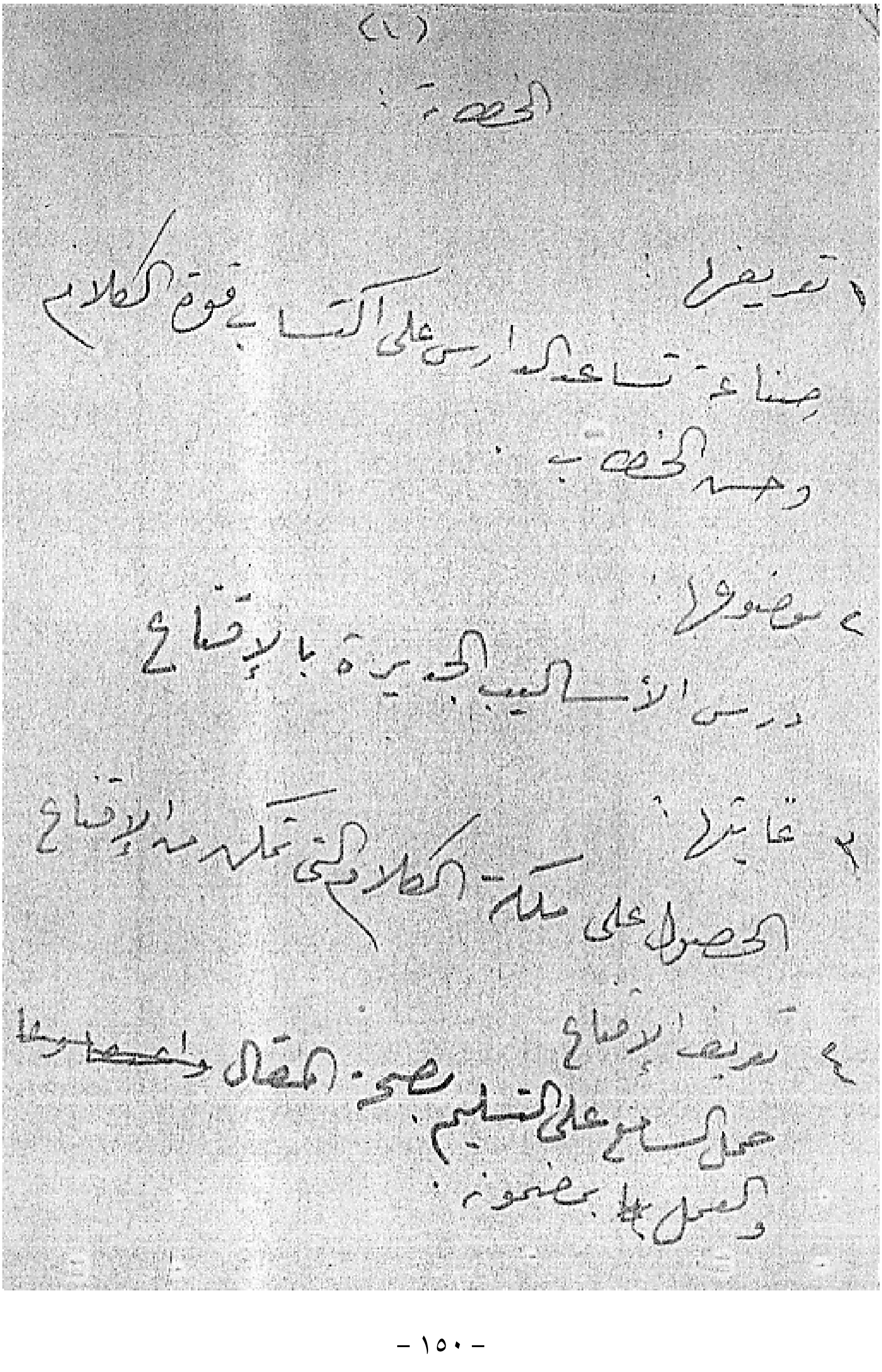

(١)

الخطابة :

١ تعريفها : صناعة تساعد الدارس على اكتساب تفوق الكلام وحسن الخطاب

٢ موضوعها : درس الأساليب الجيدة بالإقناع

٣ فائدتها : الحصول على ملكة الكلام التي تمكنه من الإقناع

٤ تعريف الإقناع : حمل السامع على التسليم بصحة المقال والعمل بمضمونه

(٢)

٥ ثمرة الخطابة؟

إرشاد كل منهم إلى ما يحتاج إليه في دينه من أمور

المعاد والمعاش.

٦ أركانها علم الخطابة

ثلاثة التفكير والتصوير والتعبير، وذلك

بإيجاد المعاني وحسن ترتيبها وإبرازها

في القوالب اللائقة بها. قال بعض الحكماء

مطالع العلوم الأدبية من ثلاثة أوجه: قلب

مفكر، وبيان مصور، ولسان معبر.

فالتفكير ~~[illegible]~~ لوضع الأدلة ومراعاة

الآداب الخطابية وصدق الأهواء، والتصوير

لتنسيق المعاني وإحكام ترتيبها للقلوب بعضها آخذاً برقاب

بعضه والتعبير بإبراز المعاني ملابسة من الألفاظ

بما ~~يكمل~~ يزيدها حسناً ورواءً.

(٢)

٧ تنوع الخطب أي أنواع

الخطبة الدينية، العلمية، السياسية، القضائية

العسكرية وغيرها.

٨ الخطب العسكرية ~~وخاصة~~ أُخر

هي الخطب الحماسية التي تهيج غضب الجنود على عدوهم

وتنشطهم للقتال ودحره عن أوطانهم

٩ أثر الخطب العسكرية في الجيش

كثيرا ما توقف انتصارات الجيش على خطبة حماسية يلقيها

عليهم أو أنشودة عسكرية يسمعونها إذا

سمعوها أنهم ينقضوا على العدو انقضاض

الأسود على الفرائس فيخرقون كل

~~صفوفه~~

ويبادونه جزر السباع وكل فريسة

ممزقة

(٦)

١٠. محور الخطب العسكرية:

الخطب العسكرية: محورها الذي تدور عليه أغراضها

الجنود للدفاع عن شرف الوطن وتحريضهم على الاستبسال

في سبيل إعلاء كلمة الحق وتبشيرهم بما سينالونه

من عظيم ثواب الله الذي ينتظر الشهداء وما سيخلفونه

من الشرف المادي والمعنوي وجميل الأحدوثة

لذا [illegible]

وصف الذكر

١١. مميزات (مزايا) الخطب العسكرية: الشريفة

تتحمس وتضمين الأفكار

ألفاظها: [illegible] جملاً واضحة

ومعاني الكلمة الرهيبة للعواطف

المحمسة بدون عناء وأنه

بسيط يحتوي/ يشتمل على جوامع الكلم والخلاصة

بلوغه وحيوية مختصرة تخرج

ينبغي أن تكون مؤثرة بليغة صريحة ~~[illegible]~~

من فم الخطيب [illegible] الملتهبة [illegible] الاندفاع

لتوقد نار الحماس [illegible] بالأسلحة [illegible]

[illegible]

[illegible]

من دروس الخطابة التي كان يدرّسها الشيخ المبارك في المدرسة الحربيّة

الخطابة

١- **تعريفها:** صناعة تساعد الدارس على اكتساب قوة الكلام وحُسن الخطاب.

٢- **موضوعها:** درس الأساليب الجديرة بالإقناع.

٣- **غايتها:** الحصول على مَلَكة الكلام التي تمكن من الإقناع.

٤- **تعريف الإقناع:** حمل السامع على التسليم بصحَّة المقال، والعمل بمضمونه.

٥- **ثمرة الخطابة:** إرشاد السامعين إلى ما يحتاجون إليه من أمور المعاد والمعاش.

٦- **أركان علم الخطابة:** ثلاثة: التفكير والتّصْوير والتعبير، وذلك بإيجاد المعاني وحُسن ترتيبها وإفراغها في القوالب اللائقة بها. قال بعض الحكماء: مطالع العلوم الأدبيّة من ثلاثة أوجه: قلب مفكِّر، وبيان مُصوِّر، ولسان مُعبِّر.

فالتفكير لوضع الأدلة ومراعاة الآداب الخطابية ومعرفة الاهواء. **والتصوير** لتنسيق المعاني وإحكام ترتيبها ليكون بعضها آخذًا برقاب بعض. **والتعبير** بإبراز المعاني مكتسية من الألفاظ بما يزيدها حسنًا وبهاءً.

٧- **فنون الخطب أي أنواعها:** الدينية، العلمية، السياسية، القضائية، العسكرية، وغيرها.

٨- **الخطب العسكرية:** هي الخطب الحماسية التي تهيج غضب الجنود على

عدوهم وتنشطهم لقتاله ودحره عن أوطانهم.

٩- **تأثير الخطب العسكرية في الجيش:** كثيرًا ما يتوقف انتصار الجيش على خطبة حماسية أو أنشودة عسكرية، لا يلبثون إذا سمعوها أن ينقضّوا على العدوّ انقضاض البواشق على البُغاث فيمزقوه كلَّ مُمزَّق ويغادروه جَزَر السِّباع وكلّ نسرٍ قَشْعَمِ.

١٠- **محور الخطب العسكرية:** الخطب العسكرية محورها الذي تدور عليه استنهاض الجنود للدفاع عن شرف الوطن وتحريضهم على الاستبسال في سبيل إعلاء كلمة الحق، وتذكيرهم بما سينالونه من عظيم ثواب الله الذي بيده النصر، وما سيُخلِّفونه لذراريهم من الشرف المادي والمعنوي وجميل الأحدوثة وطيب الذكر.

١١- **محسنات الخطب العسكرية:** إلقاؤها بتحمس وتضمينها الأفكار الشريفة والمعاني المنيفة المهيجة للعواطف، جعلها واضحة يفهم الجند معناها بدون عناء، وأن تكون وجيزة مشتملة على جوامع الكلم. والخلاصة ينبغي أن تكون مُؤثِّرة بليغة صريحة مُختصَرة تخرج من فم الخطيب كشهب النار الملتهبة لتوقد نار حَمِيَّة المستمعين فلا يتمالكون عن الاندفاع لسحق عدوهم وتبديده حتى يصير هباء منثورًا.

ويذكر بعد ذلك أمثلة من الخطب المشهورة في تراثنا الأدبي كبعض خطب عليّ بن أبي طالب، وخطبة طارق بن زياد.

* * *

مجازو مدرسة الأدب العليا بدمشق

سنة ١٣٥٠هـ -١٩٣٢م

مجازو مدرسة الأدب العليا بدمشق سنة ١٣٥٠هـ-١٩٣٢م

وسط الصورة

الأساتذة

مدير المعهد شفيق جبري، وإلى يمينه: الشيخ عبد القادر المبارك، وإلى يساره الأستاذ سليم الجندي.

الأستاذ عبد القادر المغربي، والأستاذ علي الجزائري.

أسماء الطلّاب والطالبات

يمين الصورة :	يسار الصورة :
أديبة فارس	مليحة سعيد- دمشق
منيرة علي المحايري- دمشق	جميل سلطان- دمشق
محمد علي السرّاج- حماة	عبد الغني الباجقني- طرابلس الغرب
منير الريِّس- حماة	عمر شخاشيرو- دمشق
حلمي اللّحام- دمشق	أنور سلطان- دمشق
زكي المحاسني- دمشق	محمد الجيرودي- جيرود- دمشق
مصطفى الصوّاف- دمشق	محمد سعيد الأفغاني- دمشق
عبد الرزاق الباجقني- طرابلس الغرب	عبد الرحمن التكريتي- دمشق
أنور عطار- دمشق	محي الدين قضماني- دمشق
عثمان الشقفي- حماة	أنطون موسى
بهاء الدين عيسى- دمشق	وديع شحيِّد- دمشق
إبراهيم برصا- دمشق	

محمود شحادة- دمشق

مجازو مدرسة الأدب العليا بدمشق

سنة ١٣٥١هـ-١٩٣٣م

مجازو مدرسة الأدب العليا بدمشق سنة ١٣٥١هـ-١٩٣٣م

وسط الصورة

الأساتذة

مدير المعهد شفيق جبري، وإلى يمينه: الشيخ عبد القادر المبارك، وإلى يساره الأستاذ سليم الجندي.

الأستاذ عبد القادر المغربي، والأستاذ علي الجزائري.

يمين الصورة

خديجة أورفلي، دمشق

فاطمة مراد، دمشق

الشيخ مصطفى الزرقا، حلب

محمد علي الجبّان، دمشق

داود صليبا، قرعون البقاع

جودة الخوّام، دمشق

محمد ياسين الحموي، حماة

سعيد الحافظ، دمشق

محمد علي علايا، دمشق

ليان ديراني، دمشق

يسار الصورة

عبد الرؤوف الأمين، جبل عامل

الشيخ زين العابدين، تونس

عبد العزيز الحمصي، دمشق

عثمان حوراني، حماة

رمزي الركابي، دمشق

عبد الرزاق المنجد، دمشق

شفيق المالح، دمشق

منصور قدارو، طرابلس الغرب

أحمد مزيان، تلمسان جزائر

* * *

في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرِّي سنة ١٩٤٤م

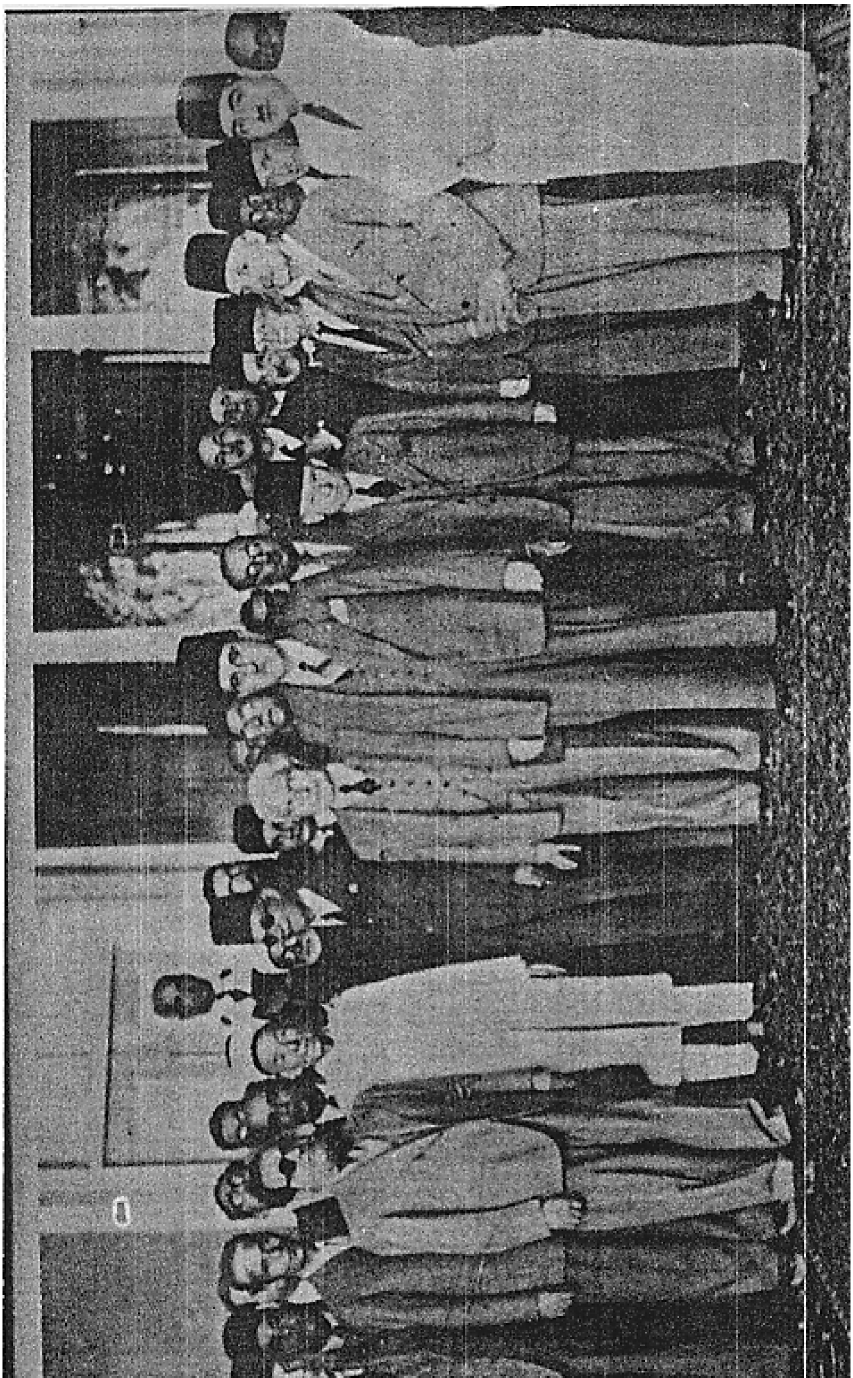

الرئيس شكري القوتلي في الوسط، وإلى يمينه: فارس الخوري، وطه حسين، وعبد القادر المبارك، ومهدي البصير.
وإلى يساره: إسعاف النشاشيبي، ومحمد كرد علي، وعارف النكدي، وخليل مردم.

فهرست الجزء الأول من المجلد الأول

لمجلة المجمع العلمي العربي

الصادر بتاريخ ١ كانون الثاني ١٩٢١

٨١٢٨

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت في أول كانون الثاني سنة ١٩٢١ الموافق ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩

تصدر في دمشق مرة في الشهر

قيمة اشتراكها ليرة ونصف سورية

فهرست الجزء الاول

ص	
١	فاتحة المقال
٣	نشأة المجمع العلمي العربي
٦	منشور المجمع للمجلات والجوامع
٨	دور الكتب وفاتحتها دار الكتب العربية في دمشق (سعيد الكرمي)
١٢	وصف بعض العاديات في دار الآثار العربية (متري قندلفت)
١٧	الشيخ طاهر الجزائري وترجمته (محمد كرد علي)
٣٣	حياة المسيو ماسينيون ومحاضرته : ملتقى الادبين اللذين التقيا في دمشق
٤٤	بعض اعمال المجمع

الصفحة الأولى من أول مقال لمجلة المجمع

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ١ كانون الثاني سنة ١٩٢١م الموافق ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ المجلد ١

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة المقال

جرت عادة المجامع العلمية في البلاد المتمدنة ان يكون لها مجلات خاصة بها . تصدر في اوقات معينة . ينشر فيها ما يكتبه اعضاؤها ومراسلوها في مواضيع العلوم والفنون المختلفة ، وما يلقى في المجمع من المحاضرات على الجمهور من وقت الى آخر . وما يتجدد في عالم العلم من الآراء والافكار وضروب الاكتشاف والاختراع . وخلاصة الاعمال التي قام بها المجمع او هو في صدد القيام بها . وغير ذلك من الاخبار والشؤون التي تلتحم بخطته . ولا تخرج عن حدود وظيفته . وقد رأينا ان مجمعنا العلمي العربي في حاجة الى مثل هذه المجلة فاصدرناها بهذا الشكل . وعلى هذا النمط . الذي له من طبيعة الوقت وفقد المدد والوسائل شفيع في تقصيره ، وعذر في الاكتفاء بقليله عن كثيره . وان لنا من موازرة الفضلاء والعلماء ما يذلل الصعاب امام هذه المجلة . ويرقى بها الى ذروة كمالها ، واستتمام هلالها . ان شاء الله تعالى

اما الابواب او الاقسام التي يتركب منها كيان هذه المجلة فهي اربعة :

(الاول) في المقالات والمحاضرات ذات الموضوعات العلمية والفنية

(الثاني) في المراسلات التي ترد الى ادارة المجلة من المراسلين والعلماء واهل الفضل . ولا تقبل ما لم تكن من موضوعات المجلة

(الثالث) في الاخبار والشؤون العلمية عامة

(الرابع) في اعمال المجمع ومساعيه الداخلية الخاصة به

غلاف الجزء الأول والثاني من المجلد العشرين

لمجلة المجمع

كانون الثاني وشباط ١٩٤٥م

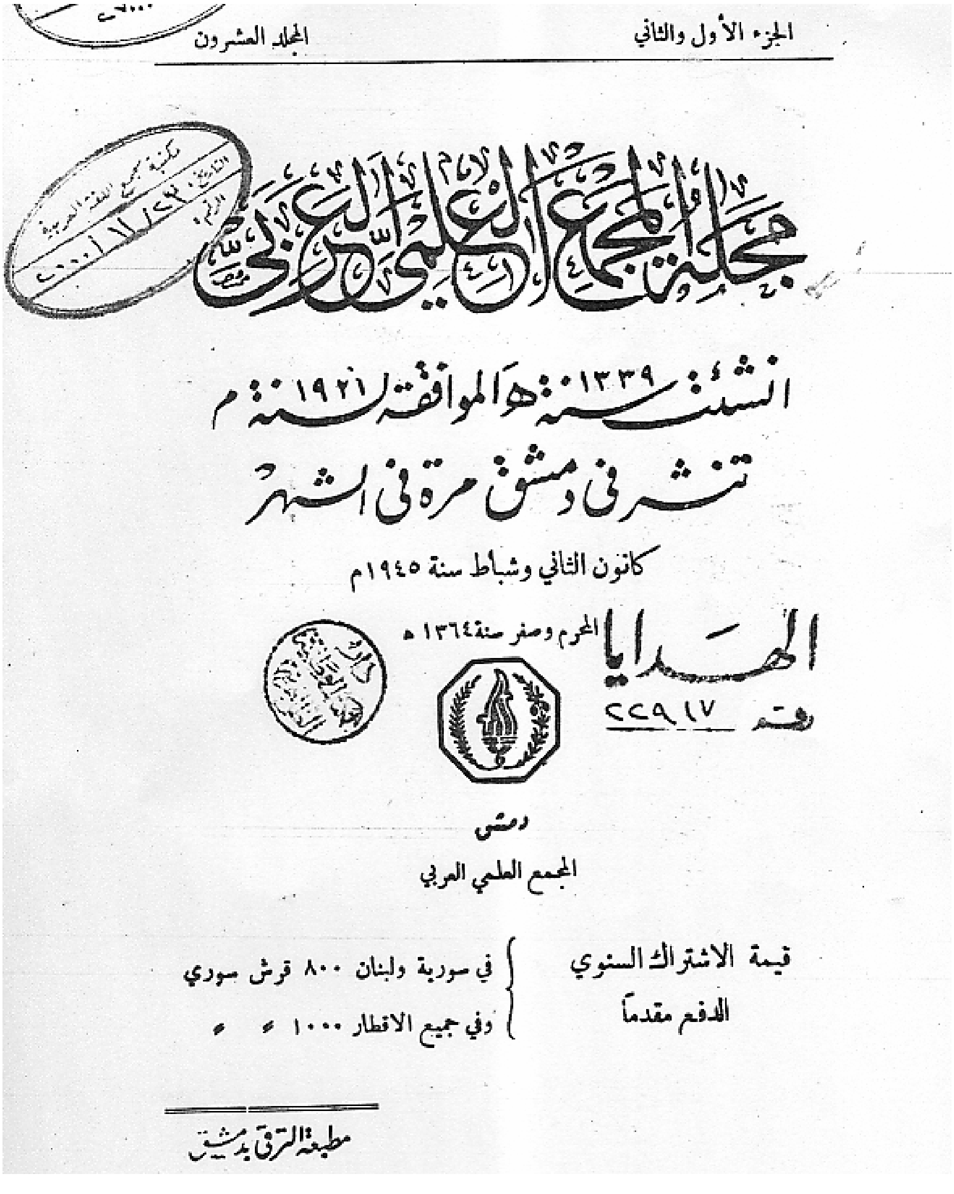

الجزء الأول والثاني | المجلد العشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئ سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٥م

المحرم وصفر سنة ١٣٦٤ هـ

الهدايا

رقم ٢٢٩١٧

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي
الدفع مقدماً

في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
وفي جميع الاقطار ١٠٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق

غلاف الجزء الأول من المجلد السادس والأربعين لمجلة المجمع

ذو القعدة ١٣٩٠هـ - كانون الثاني ١٩٧١م

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ذو القعدة ١٣٩٠ هـ

كانون الثاني « يناير » ١٩٧١ م

المراجع والمصادر

١- أشهر الأمثال، للشيخ طاهر الجزائري، تح: مازن المبارك، دمشق- دار الفكر ط٢ ١٩٧٧.

٢- إلياس عبده قدسي، أيهم ميشيل بطحوش، مطبوعات المجمع، دمشق ١٤٣٥= ٢٠١٤.

٣- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري، محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة، دمشق- دار الفكر ١٤٠٦= ١٩٨٦.

٤- تاريخ المجمع العلمي العربي، أحمد الفتيح، دمشق ١٣٧٥= ١٩٥٦.

٥- تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، محمد سعيد الباني، دمشق ١٩٢٠.

٦- حاضر اللغة العربية في الشام، سعيد الأفغاني، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٦٢.

٧- ديوان خليل مردم بك، ومقدّمتاه: د. جميل صليبا، د. سامي الدهّان، دار البيّنة ط٢ ٢٠١٤.

٨- رشيد بقدونس، زهير رشيد بقدونس، مطبوعات المجمع ١٤٣٣= ٢٠١٢.

٩- صفحات من تاريخ سورية في سيرة المناضل عارف التوّام، دمشق، دار طلاس، ط٢ ٢٠٠٨.

١٠- صفحة منسيّة من تاريخ المعارض في دمشق، مجلة المجمع، م ٨٤ ج٢ ص٥٣١.

١١-العاصمة، الجريدة الرسمية للحكومة العربية، أنشئت سنة ١٣٣٧= ١٩١٩، وتصدر مرّتين في الأسبوع.
١٢-كنوز الأجداد، محمد كرد علي، دار البيّنة، ط٢- ١٤٣٢ = ٢٠١١.
١٣-مجلة مجمع اللغة العربية.
١٤-محاضرات الخليل في الإنشاء العربي، خليل مردم بك، تح: عدنان مردم بك، دمشق- الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤٠٥= ١٩٨٥.
١٥- محمد سليم الجندي، بسمة بديع رحيم، مطبوعات المجمع ١٤٣٢= ٢٠١١.
١٦-مذكرات البارودي.
١٧-مذكرات محمد كرد علي.
١٨-المعاصرون، محمد كرد علي، دار البيّنة، ط٢ - ١٤٣٢= ٢٠١١.
١٩-مكتب عنبر، ظافر القاسمي، بيروت، دار العلم للملايين.
٢٠-النور والنار في مكتب عنبر، مطيع المرابط، دمشق، دار الفكر ١٩٩١.

* * *

الفهرس

الإهداء ٥
مدخل ٧
بين يدي الكتاب ١١
مع طلائع النهضة ١٥
شعار المجمع ١٦
معنى التعريب عندهم ١٨
بوادر قديمة ٢٠
الدولة العربية ٢٢
إنجازات الحكومة العربية ٢٤
تأسيس المجمع وأهدافه ٢٨
رسائل المجمع ٢٩
فتاوى المجمع ٣٢
المجمع والمصطلحات ٣٥
مجلة المجمع ٣٦
المجمع والكتب المدرسية ٣٧
المجمع ومؤسسات التعليم العالي ٣٧
مجازو عام ١٩٣٢ ٤٠
مجازو عام ١٩٣٣ ٤٠
المجمع والظاهرية وإحياء التراث ٤١
محاضرات المجمع ٤٤
المجمع وتشجيع النابغين ٤٧
انفتاح المجمع على الوطن العربي: ٤٧
١- دعوة الأدباء العرب وتكريمهم ٤٧
٢- تأبين المجمع لأدباء العرب ٤٩
٣- المجمع والمهرجانات الأدبية: ٥٢
مهرجان المتنبي ٥٢
المهرجان الألفي لأبي العلاء ٥٦
أصداء المهرجان ٧٣
المجمع والآثار والمعارض ٧٦
من نتائج إنجازات المجمع ٧٨
الشيخ طاهر الجزائري ٨٨
إلياس قدسي ٩٣
سليم عنحوري ٩٤
الشيخ سعيد الكرمي ٩٦
الشيخ أمين سويد ٩٧
الشيخ عبد الرحمن سلام ٩٩
رشيد بقدونس ١٠٢
عارف التوّام ١٠٥
عبد القادر المبارك ١٠٨
محمد كرد علي ١١١
محمد سليم الجندي ١١٤
عبد القادر المغربي ١١٦
الشيخ محمد الخضر حسين ١١٨
خليل مردم بك ١٢٢
عز الدين التنوخي ١٢٨
مصطفى الشهابي ١٣١
عارف النكدي ١٣٣
الشيخ بهجة البيطار ١٣٦
خير الدين الزركلي ١٣٧
خاتمة ١٤٠

فهرس الملاحق

محاضرات الخليل في الإنشاء العربي.. ١٤٣

تمهيد في الكتابة والإنشاء.. ١٤٤

من دروس الإنشاء للمبارك في المدرسة الحربية ١٤٦

من دروس الخطابة للمبارك... ١٥٠

صورة المجازين من مدرسة الأدب العليا سنة ١٩٣٢ .... ١٥٦

صورة المجازين من مدرسة الأدب العليا سنة ١٩٣٣ .... ١٥٨

صورة الرئيس القوتلي مع وفود مهرجان المعرّي ١٦٠

صورة فهرس الجزء الأول من المجلد الأول لمجلة المجمع................................ ١٦١

صورة الصفحة الأولى من أول مقال لمجلة المجمع ١٦٢

صورة غلاف الجزء الأول والثاني للمجلة سنة ١٩٤٥ وعليها شعار المجمع ١٦٣

صورة غلاف الجزء الأول من المجلد السادس والأربعين لمجلة المجمع.............. ١٦٤

المراجع والمصادر ١٦٥

* * *